الفصل الرابع

مصطلح

القرآن

تمهيد

مصطلح القرآن هو المفتاح الأول والأساس لفهم حركة النور التي قدح بديع الزمان النورسي وميضها في ربوع تركيا، لتنطلق بعد ذلك شعاعا يمتد إلى كل العالم عبر كليات رسائل النور!

فلم تكن عبقرية بديع الزمان النورسي -رحمه الله- غير رشحة من رشحات القرآن العظيم، وومضة من ومضاته المتدفقة أبدا على العالمين! فالقرآن نور رباني عظيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾(النساء:١٧٤). فلم يزل -منذ نزوله على محمد ﷺ- متدفقا على البشرية من الأعالي! كما قال شاعر الإسلام في العصر الحديث محمد إقبال:

تجلي النور فوق الطور باقٍ فهل بقي الكليم بطور سينا؟

ذلك هو القرآن، النور الإلهي المبين! وإنما تتلقاه القلوب الصقيلة الصافية. فهي وحدها تعكس من أشعته على قدر صفائها، فإذا بها تتلألأ في الآفاق مثل النجوم! واقرأ إن شئت قول الله جل علاه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(النور:٣٥).

من هنا إذن؛ من منابع النور.. انقدحت مواجيد بديع الزمان النورسي؛ فكانت "كليات رسائل النور"! لقد انجلى لبصيرته النافذة أن التحدي

الرهيب للدين، ولحقائق الإيمان في هذا العصر العصيب؛ لن يقف في وجهه غير سيف القرآن البتار! فنبذ كل الأسلحة إلا سلاح القرآن العظيم. وانبرى لإعلان إعجاز القرآن بلغة جديدة ومنهج جديد، منهج مستوحى من القرآن نفسه، فكان له -لذلك- من النجاح ما شهدت به الأيام بعدُ؛ بأعلى صوت الزمان وملء فمه! واستطاع بحركته القرآنية أن يشق ظلمات الضلالة والإلحاد، بشعاع القرآن وحده، وأن يبني جيلا من طراز فريد، يتحدى به كل أنواع الفتن، فأنبت حقائق الإيمان ريانة خضرة، على أرض أحرقتها الزندقة الجديدة وألهبت كل نبتة للخير فيها! لكن كشف حقائق الإيمان برسائل النور، وإظهار إعجاز القرآن للعالمين في هذا العصر كانت له جولة جديدة من جولات المعجزة المحمدية الخالدة، تلك المعجزة التي نطق بها القرآن العظيم، وجعلها حقيقة كونية سرمدية قاهرة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(التوبة:٣٢-٣٣).

ذلك سر من أسرار القرآن! فلنطل إذن مع بديع الزمان على بعض ذلك من خلال ما عرضه من مشاهدات عن القرآن!

أولا: التعريف:

أ- في اللغة:

تكاد تجمع معاجم اللغة على أن الأصل الدلالي لمادتي: "قرأ" و"قري" إنما هو معنى الجمع والاجتماع، وما تفرع عنه. سواء همزت آخره أم لم تهمزه، فهو في ذلك سواء. ومنه سمي "القرآن" قرآنا؛ لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص والعبر، أو لاجتماع آيه وسوره وتألفها. قال

ابن فارس: "القاف والراء والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على جمع واجتماع. من ذلك القرية؛ سميت قرية لاجتماع الناس فيها. ويقولون: قَرَيْتُ الماءَ في المقراة: جمعته (...) وإذا هُمِز هذا الباب كان هو والأول سواء (...) قالوا: ومنه القرآن، كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك".[1]

وقال صاحب مختار الصحاح: "قرأ الكتابَ قراءة وقُرآنا بالضم. وقرأ الشيء قُرآنا بالضم أيضا: جمعه وضمه. ومنه سمي "القرآنُ"؛ لأنه يجمع السور ويضمها".[2]

وذلك ما نجده لدى ابن منظور، رغم ما أورده من كثرة الاستعمالات للمادة اللغوية، ودلالاتها. قال رحمه الله: "قَرَأَهُ يَقْرَؤُه ويَقْرُؤُه (...) قَرْءاً وقِراءَةً وقُرْآنا (...) يسمى كلام الله تعالى الذي أنزل على نبيه ﷺ كتابا وقرآنا وفرقانا. ومعنى القرآن: معنى الجمع. وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾(القيامة:١٧) أي جمعه وقراءته. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾(القيامة:١٨) أي قراءته. (...) وقال بعضهم: قرأتُ: تفقهتُ. ويقال: أَقْرَتُ في الشعر، وهذا الشعر على قَرْء هذا الشعر: أي على طريقته ومثاله. (...) والقَرْءُ: الوقت. قال الشاعر:

إذا ما السماء لم تَغِمْ ثم أخْلَفَتْ قُروءَ الثُّرياً أنْ يكون لها قَطْرُ

يريد وقت نوئها الذي يمطر فيه الناس.

(...) والقَرْء والقُرْء: الحيض، والطهر ضد. وذلك أن القرء الوقت، فقد يكون للحيض والطهر".[3]

---

(١) مقاييس اللغة، مادة: "ق ر ي".

(٢) مختار الصحاح، مادة: "ق ر أ".

(٣) لسان العرب، مادة: "ق ر أ".

وربما كان الأصل -من حيث الوضع اللغوي- لمادة "قرأ" دالا على الجمع، فكانت "القراءة" -بمعنى: تلاوة الحروف- من فروعه، من حيث إن القارئ يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض عند التلاوة؛ إلا أن الإشكال هنا هو: هل اسم "القرآن" من الجمع بمعنى الوضع الأول، أم بمعنى القراءة والتلاوة التي هي فرع استعمالي؟

فرغم أن أغلب كتب اللغة -كما رأيت- مالت إلى ترجيح الأول فإن أبا جعفر الطبري (المتوفى سنة:٣١٠هـ) مال في تفسيره -وهو من الأصول اللغوية أيضا- إلى ترجيح الثاني. أي إن "القرآن" -عنده- إنما سمي كذلك؛ لأنه يقرأ بمعنى: يتلى، وليس بمعنى يُجمع. قال رحمه الله: "فأما القرآن: فإن المفسرين اختلفوا في تأويله. والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس، من التلاوة والقراءة. وأن يكون مصدرا، من قول القائل: قرأت القرآن، كقولك الخسران من خسرت، والغفران من غفر الله لك. (...) وأما على قول قتادة، فإن الواجب أن يكون مصدرا، من قول القائل: قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض. كقولك ما قرأت هذه الناقة سلاً قط: تريد بذلك أنها لم تضم رحما على ولد (...).

ولكلا القولين، أعني قول ابن عباس وقول قتادة اللذين حكيناهما وجه صحيح في كلام العرب. غير أن أولى قوليهما بتأويل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾(القيامة:١٧-١٨) قول ابن عباس؛ لأن الله جل ثناؤه أمر نبيه في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحي إليه، ولم يرخص له في ترك اتباع شيء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن!".[1]

والراجح -والله تعالى أعلم- أن يكون المعنيان معا مقصودين في

(١) جامع البيان، ١/٤٢-٤٣.

دلالته اللغوية؛ وذلك بغض النظر عن خصوص دلالة آية سورة القيامة، مما أورده أبو جعفر رحمه الله، فلا يمنع ورود المعنى الجزئي أن يكون الكلي -وهو أشمل منه طبعا- مقصودا أيضا. فيكون "القرآن" قد سمي بذلك؛ لجمعه المعاني كلها. وهو معنى وجيه جدا. قال ﷻ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(الأنعام:٣٨) ولأنه مؤلف مجموع متناسق، ثم لأنه إنما أنزل ليقرأ ويتلى. وكل ذلك حسن جدا في معنى "القرآن" لغة. فلا تزاحم بين هذه المعاني جميعها، ولا تعارض.

وهذا ما يفهم أيضا مما أورده الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢ هـ) -من قبل- في كتابه القيم "المفردات في غريب القرآن". قال رحمه الله: "القراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل (...) قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله: لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم! كما أشار إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ﴾(يوسف:١١١) وقوله: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(النحل:٨٩).[1]

ولعل هذا المسلك التوفيقي بين الدلالتين اللغويتين، هو الأقرب إلى تفسير بديع الزمان النورسي لمفهوم القرآن الكريم، من حيث هو اصطلاح، كما سترى بحول الله.

ب- مصطلح "القرآن" بمشهود بديع الزمان النورسي:

هذا، وأما تعريف "القرآن" عند النورسي من حيث هو مصطلح، وُضِع للدلالة العَلَمية على "كلام الله رب العالمين، المنزل على رسوله محمد بن عبد الله ﷺ، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر" على حد تعبير علماء القرآن؛ فقد كانت له فيه صياغة لطيفة

(١) مفردات القرآن، مادة: "ق ر أ".

خاصة. إلا أنها كانت من مخاض المعاناة الوجدانية، والتجربة التفكرية.

فالنورسي رحمه الله ملم طبعا بتعريفات المفسرين وعلماء القرآن، لكنه لم يكن يقصد في بيان "مفهوم القرآن"؛ إلى صياغة تعريف رسمي أو حدّي -على طريقة المناطقة- غايته حصر العقول في معنى "القرآن" من حيث هو "مصحف مكتوب"، بما لا يدع مجالا للخلط بينه وبين غيره، أو تحريفه بالزيادة والنقصان، فتلك غاية تكفل الله بها سبحانه، إذ قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر:٩). وعلماء القرآن والمفسرون ثم حفاظ الأمة من ورائهم، هم الذين سخرهم الله ﷻ؛ لتنفيذ هذه المهمة العظيمة. إلا أن بديع الزمان ما كان يسعى إلى هذا، بقدر ما كان يسعى إلى محاولة تعريف "القرآن" من حيث هو "كلام رب العالمين" المتوجه برسالته إلى الإنسان حامل الأمانة! فكأنه رحمه الله كان يروم تعريف "القرآن" من حيث هو مضمون، ومقاصد، لا أحرف ورسوم. بمعنى أنه كان يحاول تعريف القرآن من حيث هو رسالة ربانية، تحدد غاية الوجود البشري في الكون، وتلخص قصة التكوين، وترسم للإنسان مدار فلكه الذي ينبغي له أن يسلكه إلى ربه.

وهنا مكمن الصعوبة، أو قل المغامرة؛ وذلك راجع إلى الطبيعة "المطلقة" لهذا المصطلح من جهة، فهو كلام الله ﷻ؛ وإلى كون الأستاذ إنما حاول تعريف "القرآن" عبر "المشاهدة" و"التفكر الوجداني". وهو مما يصعب -إن لم يستحل- نقل معانيه عن طريق اللغة الواصفة!

لقد تحاشى بديع الزمان -في تعريفه للقرآن- التعريف المنطقي التقليدي للمصطلحات والمفاهيم، من "حدود" و"رسوم"، وجاء بتعريف "ذوقي"، لا يطمع إلى الإحاطة بالمفهوم، إذ كلمات الله لا يحيط بها

أحد، وإنما حاول خلاله "تذويق" المتذوقين: "ما القرآن؟". و"الذوق" لا يقع في العادة إلا على جزء. لكنه إذا كان ذوقا صحيحا أنبأك عن طبيعة الباقي على الجملة، وصور لك مخايل المعنى الكلي غيبا، وغمرك شوقا إلى تذوق الباقي. ومن هنا سمى النورسي ما صاغه من تعريف لمصطلح القرآن: "لمعة من تعريف القرآن".[1]

وبالرغم من أنه سماه "لمعة"؛ إلا أنه لم يرد في جملة واحدة، أو جمل قصيرة على غرار التعريفات المنطقية القائمة على تحديد الفصول والخصائص. بل جاء في فقرات من البيانات الإشارية، والعبارات الذوقية؛ لأن النورسي رحمه الله كان يعلم، بل كان يشعر و"يجد" أنه بإزاء الحديث عن "كلام الله"! وكفى بذلك عظمة أن لا يحدث عنه الإنسان إلا رمزا! وأي عبارة في اللغة بإمكانها أن تحيط بحرارة الشوق، وأنوار المشاهدة، التي تتدفق على قلب المشاهد لجمال القرآن وجلاله؟ والنورسي شاعر بذلك، ومعتبر له في تعريفه. قال رحمه الله: "إن الكلام الإلهي سبحانه لا نهاية له، وذلك بسر الآية الكريمة: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾(الكهف:١٠٩)".[2]

ونحن هنا بحول الله نورد تعريفه أولا، ثم ندرسه؛ لبيان المقاصد التذويقية التربوية التي تضمنها، والفضاءات الوجدانية التي سبح فيها، وآثار ذلك كله على المتلقي مما هدف إليه النورسي وقصده في هذا التعريف.

قال رحمه الله: "فإن قلت: القرآن ما هو؟ قيل لك:

"هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألسنتها

(١) إشارات الإعجاز، ص ٢٢.

(٢) الشعاعات، ص ١٨٩.

التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم.. وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السماوات والأرض. وكذا هو مفتاح الحقائق والشؤون المضمرة في سطور الحادثات. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة. وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية، والالتفاتات الأبدية الرحمانية. وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي. وكذا هو خريطة للعالم الأخروي. وكذا هو قول شارح، وتفسير واضح، وبرهان قاطع، وترجمان ساطع؛ لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه.

وكذا هو مرب للعالم الإنساني. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد الهادي إلى ما خلق البشر له. وكذا هو للإنسان: كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب حكمة. وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة. وكما أنه كتاب ذكر، كذلك هو كتاب فكر.

وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة، في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية. كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل؛ حتى إنه أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة، من الأولياء والصديقين، ومن العرفاء والمحققين؛ رسالةً لائقةً لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره، حتى كأنه مجموعة الرسائل".[1]

يتضمن هذا التعريف الهام ثلاثة مقاطع معنوية كبرى، كل مقطع منها مؤلف من إشارات تعريفية مختلفة، بيد أنها تشكل بمجموعها -ضمن كل

(١) إشارت الإعجاز، ص ٢٢؛ المكتوبات، ص ٢٦٧.

مقطع- وحدة موضوعية متكاملة. وهذه الوحدات الثلاث، هي:

- أولا: كونية القرآن الكريم. وتبتدئ من قوله في البداية: "هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات" إلى قوله: "وترجمان ساطع؛ لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه".

- ثانيا: رسالية القرآن الكريم وغايته التعبدية. وتبتدئ من قوله بعد: "وكذا هو مرب للعالم الإنساني" إلى قوله: "كذلك هو كتاب فكر".

- ثالثا: عرضه الكثرة من عين الوحدة. وتبتدئ من قوله "وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة" إلى قوله في نهاية التعريف: "حتى كأنه مجموعة الرسائل".

إلا أن هذه الوحدات الثلاث ناطقة جميعها بجملة واحدة، هي جوهر التعريف. وعنها صدر كل هذا التوصيف للقرآن الكريم. هذه الجملة هي: أن "القرآن كلام الله رب العالمين". فهذه الجملة المعنوية الكبرى هي أم الوحدات الثلاث المذكورة. وإنما قال النورسي ما قاله فيها من عبارات تعريفية ذوقية؛ انبهارا بهذه الحقيقة الوجودية العظمى: "كلام الله"! وهو ما صرح به النورسي رحمه الله في مواطن عديدة من رسائل النور، كما سترى بحول الله.

فانضاف إلى الوحدات الثلاث المذكورة إذن؛ وحدة رابعة هي جماع المفهوم، وفص المصطلح المكنون بين جواهره ولآلئه. فلنتحدث عن كل ذلك، كما ورد في كلمات بديع الزمان ومواجيده الحَرى:

١- القرآن كلام الله:

إن ما بهر النورسي من ذلك، وأفاض مشاعره؛ هو أن القضية هنا هي من العظمة والرهبة؛ بحيث يستحيل على القلب البشري تحمل مواجيدها!

بدءا بالتفكر في هذا الكون الشاسع، الممتد في فضاءات لا يحدها بصر ولا تصور ولا خيال! وما يسبح في من نجوم وكواكب ومجرات وسدم غائرة بعيدة بملايين السنوات الضوئية، وما يحيطها من سماوات بعضها فوق بعض، وما يعمرها من خلائق نورانية، مما لا يدرك له كنه، ولا صورة، إلى ما بين هذا وذاك، من طبقات الزمان المختلفة؛ عدا، وتقديرا، ونسبة، من الأيام والسنوات، قد يختزل اليوم الواحد منها ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾(السجدة:٥) إلى ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(المعارج:٤)! ورب هذه العوالم جميعها، الخالق لها، والمحيط بأزمنتها وأمكنتها كلها، المدبر شؤون حياتها ومماتها وأرزاقها، بقيوميته الممتدة من الأزل إلى الأبد، المالك زمام أحوالها بأنوار أسمائه الحسنى وصفاته العلى ﷻ! هذا الرب الرحمن الرحيم، والملك العظيم، المتنزه في مطلق علوه، وسموه، وجلاله، وكبريائه؛ يقَدّر برحمانيته ورحمته أن يكرم الإنسان، هذا المخلوق الضعيف الضئيل، القابع في الأرض هذا الكوكب الضئيل السابح في بحر عظيم زاخر بأمواج السدم والمجرات، فيكون من أعظم مقامات هذا التكريم؛ أن يخاطبه بهذا الكلام الإلهي العظيم: القرآن الكريم!

فكيف للنسبي الفاني أن تتحمل مواجيده كلام المطلق الباقي؟ كيف للقلب المحكوم بالزمان والمكان، أن تستوعب خفقاته المعدودة، وأنفاسه المحدودة؛ وقع الكلام الخارق للزمان والمكان؟

تلك هي القضية المزلزلة للكيان الإنساني، في قلب الأستاذ الذواقة، بديع الزمان سعيد النورسي، والمفجرة لكل طاقاته الوجدانية، التي سطرها ألحانا وأنغاما في رسائل النور. فمن ذا قدير إذن؛ على وضع حد معرف، أو رسم شارح لـ"مفهوم القرآن الكريم"؟ وما زعم النورسي أنه

يعرف القرآن على سبيل "الحد الجامع المانع" بتعبير المناطقة، وما قدمه من تعريف؛ إنما هو فيض من أنوار قلبه، وما قلبه إلا قمر من الأقمار السيارة، العاكسة لأشعة الأسماء الحسنى! فأكرم بذلك مقاما للعارفين الصديقين! وأما كتاب الله فلا تحيط به حدود، ولا ترسمه تعريفات! وإنما غاية الأقمار السالكة في فلكه أن تقتبس منه "لمعة من تعريف" كما عبر النورسي من قبل.

قال رحمه الله في تعريف ملخص للتعريف السابق، وشارح له في الآن نفسه، ومبينا كيف أن مصدرية القرآن العليا، من حيث هو "كلام الله"؛ قد رفعته فوق كل الحدود والرسوم: "إن مَنْحَ القرآن الكريم أعلى مقام من بين الكلمات جميعا -تلك الكلمات التي لا تحدها حدود- مرده أن القرآن قد نزل من الاسم الأعظم، ومن أعظم مرتبة من مراتب كل اسم من الأسماء الحسنى. فهو كلام الله بوصفه رب العالمين، وهو أمره بوصفه إله الموجودات، وهو خطابه بوصفه خالق السماوات والأرض، وهو مكالمة سامية بصفة الربوبية المطلقة، وهو خطابه الأزلي باسم السلطنة الإلهية العظمى. وهو سجل الالتفات والتكريم الرحماني، نابع من رحمته الواسعة المحيطة بكل شيء. وهو مجموعة رسائل ربانية تبين عظمة الألوهية (...) وهو الكتاب المقدس الذي ينثر الحكمة. ولأجل هذه الأسرار أطلق على القرآن الكريم بما هو أهله ولائق به؛ اسم: "كلام الله"!".[1]

إن حقيقة كون القرآن الكريم "كلام الله رب العالمين" تجعل المؤمن -إذ يقرؤه ويرتله أو يتدبره ويتدارسه- يَنشَدّ إلى أشعة الأسماء الحسنى، ويتعلق بأنوار الربوبية. وذلك من أعظم ما غمر قلب بديع الزمان، وصاغ

(١) الكلمات، ص ١٤٧.

معماره المنقوش بالمحبة المتوقدة! ولذلك قلنا: إنه إنما انبهر بالقرآن من حيث هو خطاب رباني، وما فاض عنه من مواجيد مفهومية أو تفسيرية؛ إنما فاض من حيث تدبره لهذه الحقيقة العظمى التي لا تطاق! وذلك ما أشار إليه في النص السالف، وهو ما فتئ يكرره ويعيده، تماما كما يكرر المحب اسم محبوبه، بغير إرادة منه ولا اختيار. وذلك نحو قوله الذي يشبه نوعا من الانجذاب: "القرآن الكريم الذي بين أيدينا هو كلام رب العالمين".[1] ربما يقول قائل: إن هذا الكلام بدهي! أي إن "القرآن هو كلام رب العالمين"؛ كلا! إن النورسي لم يتكلم بعبارات وإنما تكلم بدلالات ومعان! وهي بكل تأكيد من غرائب الحقائق. فقوله هذا رحمه الله: "القرآن الكريم الذي بين أيدينا هو كلام رب العالمين" فيه دلالة واضحة على أنه ينبه إلى أمرين:

- الأول: غفلة الناس عما بين أيديهم! فهذا القرآن مكتوب في المصاحف المنتشرة في كل مكان، وبين أيدي كل الناس. ولكن المشكلة أن آفة التعود قتلت حاسة التدبر والتفكر في الإنسان. فعميت البصائر أن ترى حقيقة القرآن الكريم الكونية، ومفهومه الرباني، رغم أنه بين أيديها!

- الثاني: إثارة الانتباه بهذا التعريف إلى أن الذي يجب أن نشهده في القرآن -بالقصد الأول- إنما هو الله رب العالمين، من حيث إنه هو سبحانه المتكلم به! وهذا أيضا مما طمسه التعود والجهل لدى الناس. فالنورسي في هذا الأمر هو أشبه برجل رأى آخر عثر على حجر من ذهب وهو لا يدري أنه من ذهب، فجعل هذا يستعمل الحجر لأمر وضيع، غير لائق بالذهب؛ بينما جعل العارف بالذهب يتأسف ويتحرق؛ أسى على

(١) اللمعات، ص ٣٤٦.

تضييع ذلك الجاهل لما بين يديه من مال عظيم! ومن هنا صيحة النورسي وتنبيهه إلى عظمة ما "بين أيدينا": "إن القرآن الذي بين أيدينا...".

إن الوجدان الذي صدر عنه تعريف القرآن لدى النورسي هو وجدان منبهر بالربوبية العظمى! إن كل المسلمين يعرفون أو يقولون: "إن القرآن هو كلام الله". ولكن قليلا منهم يستحضر في قوله هذا؛ أن الله ﷻ قد تكلم بهذا القرآن؛ من حيث هو "رب العالمين". إن ذلك يعني أن آفة التعود -كما ذكرنا- قد قتلت حاسة التدبر في الإنسان؛ ففقدت القلوب بذلك إحساسها بالقرآن العظيم، الذي لم تطقه حتى الجبال الشامخات، كما في قوله ﷻ: ﴿لَو أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾(الحشر:٢١).

إن ههنا لدينا حقيقة مهمة في فهم خصوص مقصد بديع الزمان التعريفي هنا؛ وهي أن الهدف الأساس من تعريف الناس بالقرآن إنما هو تعريفهم بالله؛ ولذلك سلك إليه من باب الربوبية. وللربوبية ذوق خاص لديه رحمه الله، فهي تشير عنده إلى تجلى الأسماء الحسنى على الكون كله من حيث الخلق والقيومية، وما تعلق بهما من أسماء وصفات ربانية. فكل جزيئية في الكون، وكل ذرة؛ من كل شيء إنما هي متعلقة بهذا الرب: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(الأنعام:١٠٢). وذلك بتعلقها باسمه الأعظم سبحانه، وأسمائه الحسنى، الناطقة بجلال ملكه، وشمول سلطانه. إن القرآن الكريم كمفهوم تعريفي لدى النورسي يقود إلى هذه الحقيقة الكبرى: معرفة الله تبارك وتعالى "رب العالمين"! وذلك عين الحقيقة الإصلاحية التي قام عليها مشروع النورسي الإصلاحي التجديدي، ومن أجلها، مشروع إنقاذ الإيمان وتجديده في المجتمع الإنساني، هذا المشروع الذي اعتمد فيه

خاصة على تجديد الوعي "بالقرآن" بما ذكرنا من مواصفات مقاصدية، وهو أمر يصرح به النورسي بكل وضوح، وذلك قوله: "الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم هي تعليم شؤون دائرة الربوبية، وكمالاتها، ووظائف دائرة العبودية وأحوالها".[1] من هنا إذن كان اهتمامه بكتاب الله، ومن هنا أيضا كان منطلق تعريفه إياه.

يقول رحمه الله في تعريف آخر للقرآن الكريم، أوضح في الدلالة على خصوص انبهاره بجمال الربوبية وجلالها: "إن القرآن كلام الله باعتبار أنه رب العالمين، وبعنوان إله العالمين، وباسم رب السماوات والأرضين، ومن جهة الربوبية المطلقة، ومن جهة السلطنة العامة، ومن جانب الرحمة الواسعة، ومن حيثية حشمة عظمة الألوهية، ومن محيط اسمه الأعظم إلى محاط عرشه الأعظم".[2] ويتحدث عن "مفهوم القرآن" في سياق تجديد الوعي بمصدره الرباني. يقول: "إن القرآن قد نزل من الاسم الأعظم، ومن أعظم مرتبة من مراتب كل اسم من الأسماء الحسنى، فهو كلام الله، بوصفه رب العالمين، وهو أمره بوصفه إله الموجودات، وهو خطابُه بوصفه خالق السموات والأرض، وهو مكالمةٌ سامية بصفة الربوبية المطلقة، وهو خطابُه الأزلي باسم السلطنة الإلهية العظمى. وهو سجلُ الالتفات والتكريم الرحماني، نابع من رحمته الواسعة المحيطة بكل شيء. وهو مجموعة رسائل ربانية تبين عظمة الألوهية، إذ في بدايات بعضها رموز وشفرات. وهو الكتاب المقدس الذي ينثر الحكمة. ولأجل هذه الأسرار أُطلق على القرآن الكريم ما هو أهله ولائق به؛ اسم: "كلام الله!"".[3]

---

(١) الكلمات، ص ٢٩٣.

(٢) المثنوي العربي النوري، ص ٤٦٣؛ اللمعات، ص ٣٤٦.

(٣) الكلمات، ص ١٤٧.

إن هذا النص الفريد لدى النورسي ليؤكد أن الرجل كان أديبا! حقا بل شاعرا على طريقته النثرية المتدفقة.. لقد كان ينصت إلى القرآن الكريم إنصات من يستحضر منازله العليا، وحركة الوحي وهي تعبر الكون العظيم، فتطوي طبقات السماوات طيا! لتغمر المكان والزمان بأنوارها! وتنشئ بعد ذلك حركة مباركة، تمتد في التاريخ البشري؛ عمرانا حضاريا، لا يفتأ يتجدد أبدا، ما دام لهذا القرآن مرتلون ومتدبرون!

إن "مفهوم القرآن" بهذا المعنى؛ يمتد عبر الكون كله؛ انطلاقا من نور الاسم الأعظم؛ إلى صناعة التاريخ الإنساني في الأرض! ومن التكوين الأول إلى التكوين الثاني، أو من الدنيا إلى الآخرة! من هنا إذن؛ ما كان لبشر أن يحد القرآن، من حيث هو "كلام رب العالمين"؛ إلا أن يجد "لمعة من تعريف القرآن". وإلا فإنه لا حد له إلا أن تقول: "القرآن هو: القرآن"!

ومن هنا رفض الأستاذ النورسي أن يقبل بحث القرآن بحثا "محايدا"، على طريقة المتغربين المخدوعين! إذ جزم أنه "مفهوم" عال علوا مطلقا، بحيث لا يقارن بغيره، ولا يصح افتراض أي وسط بينه وبين ما سواه. وأي محاولة لذلك تعتبر -عنده رحمه الله- خروجا عن منهج العلم الحق!

ومن أطرف ما ورد في ذلك من كلامه وأعجبه؛ قصة هي عبارة عن محاورة نفسانية، دارت على شكل مناظرة خفية، داخل خواطره؛ كان التناظر فيها دائرا بينه وبين الشيطان لعنه الله! ذلك أن إبليس اللعين حاول إقناعه باعتماد منهج "حيادي" في دراسة القرآن الكريم، أو على الأقل: منهج "وسط". فردّ النورسي ذلك كله بأدلته وحججه التي أثبتت أنه، لا يمكن تدبر القرآن إلا لمؤمن به، كما أنه لا وسط بينه وبين غيره، كما لا

وسط بين الخالق والمخلوق، إذ الوجود: إما خالق أو مخلوق. ولا ثالث لهذين الاحتمالين!

ولقيمة القصة في توضيح ما نحن فيه، من دراسة مصطلحية، نوردها؛ لزيادة توضيح "مفهوم القرآن"، أو "ما القرآن؟" لدى بديع الزمان. قال رحمه الله:

"كنت أنصت يوما إلى القرآن الكريم من حفاظ كرام في جامع بايزيد بإسطنبول، وذلك في أيام شهر رمضان المبارك، وإذا بي أسمع كأن صوتا معنويا صرف ذهني إليه، دون أن أرى شخصه بالذات، فأعرت له السمع خيالا، ووجدته يقول:

- إنك ترى القرآن ساميا جدا ولامعا جدا، فهلا نظرت إليه نظرة حيادية؟ ووازنته بميزان محاكمة عقلية حيادية؟ أعني: افرض القرآن قول بشر! ثم انظر إليه بعد هذا الفرض هل تجد فيه تلك المزايا والمحاسن؟

اغتررت به في الحقيقة، فافترضت القرآن قول بشر، ونظرت إليه من تلك الزاوية، وإذا بي أرى نفسي في ظلام دامس! فقد انطفأت أضواء القرآن الساطعة! وعم الظلام الأرجاء، كما يعم الجامع كله؛ إذا مس أحدهم مفتاح الكهرباء. فعلمت عندها أن المتكلم معي هو شيطان، يريد أن يوقعني في هاوية. فاستعصمت بالقرآن نفسه، وإذا بنور يقذفه الله في قلبي، أجد نفسي به قويا قادرا على الدفاع. وحينها بدأت المناظرة مع الشيطان على النحو الآتي:

قلت: أيها الشيطان! إن المحاكمة الحيادية، دون انحياز إلى أحد الطرفين: هي التزام موضع وسط بينهما، بيد أن المحاكمة الحيادية، التي تدعو إليها أنت وتلاميذك من الإنس؛ إنما هي التزام الطرف المخالف!

فهي ليست حيادية، بل خروج عن الدين مؤقتا! ذلك لأن النظر إلى القرآن أنه كلام بشر، وإجراء محاكمة عقلية، في ضوء هذا الفرض؛ ما هو إلا اتخاذ الطرف المخالف أساسا، والتزام للباطل أصلا. وليس أمرا حياديا، بل هو انحياز للباطل وموالاة له.

فقال الشيطان: افرضه كلاما وسطا، لا تقل إنه كلام الله، ولا كلام بشر!

قلت: وهذا أيضا لا يمكن أن يكون قطعا (...) فالقرآن الكريم متاع ثمين، وبضاعة سامية، ومال رفيع لله. والبعد بين الطرفين بعد مطلق، لا يحده حد! إذ هو البعد ما بين كلام رب العالمين وكلام البشر (...) لا وسط بينهم إطلاقا! لأنهما كالوجود والعدم، فلا وسط بينهما! ولهذا ينبغي أن يقبل الأمر هكذا، وسوق الأدلة في ضوئها أي إنه بيده سبحانه. إلا إذا استطاع الطرف الآخر دحض جميع البراهين المشيرة إلى أنه كلام الله، وتفنيدها الواحد تلو الآخر؛ عندئذ يمكنه أن يمد يده إليه، وإلا فلا!".[1]

إن قول بديع الزمان في هذا النص: "فافترضت القرآن قول بشر، ونظرت إليه من تلك الزاوية، وإذا بي أرى نفسي في ظلام دامس! فقد انطفأت أضواء القرآن الساطعة! وعم الظلام الأرجاء، كما يعم الجامع كله؛ إذا مس أحدهم مفتاح الكهرباء" هو كلام دال على أن المفهوم الحقيقي للقرآن قائم على معنى "الإيمان"، والإيمان لا يصح وقوعه إلا بما هو غيب. فالمحسوسات تدرك بالحس والتجريب، والمعقولات تدرك بالعقل والاستدلال، بينما الغيبيات لا تدرك إلا بـ"الإيمان" القائم على الإذعان والتسليم القلبي. وليس معنى هذا أن القرآن غير قابل للإثبات العقلي، كلا! وإنما المقصود أن له قوة جبارة، وإسنادا عظيما، ونورا خارقا، لكن

(١) المكتوبات، ص ٣٩٩-٤٠٠.

لمن "انتسب" إليه، بالمعنى الاصطلاحي الخاص لمفهوم "الانتساب" كما فصلناه عند النورسي. إن العبد "المنتسب" إلى القرآن المؤمن به هو ذو "عقل مسدد"؛ ولذلك فهو يرى ما لا يراه صاحب "العقل المجرد"! ومن هنا فإثبات المفهوم الرباني للقرآن سهل جدا على المؤمن؛ لما لديه من تسديد وتأييد، إذا استند إلى النور الكاشف عن الحقائق، التي تغيب عمن حبس بصره على المحسوسات القريبة، والمعقولات البسيطة!

ومن هنا أمكن للعبد المنتسب أن يحاجج، ويجادل، ويناظر؛ بقوة عشرات العقول! بينما لو افترض أنه لا يؤمن بهذا الكتاب، ولا بمصدريته الربانية؛ لخرج قلبه عن مداره الفلكي، حول نور الحق العظيم، ولفقد زاده الدائم من نور شمس الهداية؛ ولعكست مرآته ساعتها ظلمات الضلال! فكيف له إذن بإبصار الدليل؟

إن مفهوم القرآن مفهوم غيبي. والغيب قاض على عالم الشهادة، ومحيط به! وما كان للمحاط أن يكون أقوى من المحيط! ولذا فإن النورسي كان واضحا في اشتراط "سلامة القلب" على من قصد مشاهدة جمال القرآن. قال: "لقد شاهدت أن مشاهدة جمال القرآن تابعة لدرجة سلامة القلب وصحته. فمريض القلب لا يشاهد إلا ما يشوه له مرضه! فأسلوب القرآن والقلب كلاهما مرآتان ينعكس كل واحد في الآخر".[1]

هذا، وأما الوحدة الثانية من وحدات التعريف، المعتمد لديه لمفهوم "القرآن" فهي:

٢ - كونية القرآن الكريم:

وقد سبق القول: إنها تبتدئ من قوله في البداية: "هو الترجمة الأزلية

(١) المثنوي العربي النوري، ص ١٥٧.

لهذه الكائنات" إلى قوله: "وترجمان ساطع؛ لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه".

إن معنى "الكونية" هو من لوازم الوحدة الأولى، أي كون القرآن "كلام الله باعتباره رب العالمين". فالربوبية قاضية على كل معاني الشمول والامتلاك والسلطنة! ذلك أن "القرآن" من حيث هو كلام رب العالمين، متضمن لمعنى الربوبية، الجامعة لكل عناصر الكون امتلاكا وقهرا. كما أن الكائنات -من خلاله- تدور جميعها حول هذا المعنى، سالكة إلى الله خالقها، منجذبة إلى نوره تعالى. ومن هنا كان القرآن وهو -خطاب إلى الإنسان- خطابا كونيا أيضا، لاسيما وأن "الله سبحانه خلق الإنسان، وجعله نسخة جامعة للكائنات، وفهرستة لكتاب العالم".[1] ثم إن القرآن فيه "كل شيء" ويتحدث عن "كل شيء"!

ويمكن تفصيل "كونية القرآن" -من حيث هو مفهوم- فيما يلي:

أ - القرآن قراءة لكتاب الكون، وكشف لأسراره:

يقول النورسي: "فكأن القرآن المنزل عليه ﷺ قراءة لآيات الكائنات".[2] ومعنى ذلك أنه كتاب كاشف للغز الحياة بصورة بسيطة. فهو يقدم الصعب المعقد تقديما سهلا ميسرا؛ ولذلك سهل على العامة؛ بل حتى على الأميين؛ "قراءة" مقاصده من خلال أبعاده الكونية؛ إذ يلفت الانتباه إلى مظاهر الكون التي يبصرها كل ذي عينين؛ ليتفكر في خلق السماوات والأرض. كل على حسب طاقته، وسعة إدراكه، فيكون القرآن الكريم بكونيته هذه خطابا لجميع الناس، بجميع مستوياتهم الثقافية،

(١) إشارات الإعجاز، ص ٢٧.

(٢) اللمعات، ص ٤٩٨.

واختلافاتهم اللغوية والعرقية. وهو ضرب من ضروب الإعجاز. يقول بديع الزمان: "انظر إلى درجة رحمة القرآن الواسعة، وشفقته العظيمة على جمهور العوام، ومراعاته لبساطة أفكارهم، ونظرهم غير الثاقب إلى أمور دقيقة! انظر كيف يكرر ويكثر الآيات الواضحة، المسطورة في جباه السماوات والأرض! فيقرئهم الحروف الكبيرة التي تُقرأ بكمال السهولة، كخلق السماوات والأرض، وأمثالها من الآيات، ولا يوجه الأنظار إلى الحروف الدقيقة المكتوبة في الحروف الكبيرة إلا نادرا، كيلا يصعب الأمر عليهم. ثم انظر إلى جزالة بيان القرآن وسلاسة أسلوبه وفطريته، كيف يتلو على الإنسان ما كتبته القدرة الإلهية، في صحائف الكائنات؛ من آيات؛ حتى كأن القرآن قراءة لما في كتاب الكائنات وأنظمتها، وتلاوة لشوون بارئها المصور، وأفعاله الحكيمة. فإن شئت استمع بقلب شهيد لقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾(آل عمران:٢٦) وأمثالهما من الآيات الكريمة".[١]

ومن هنا كان القرآن بحق -كما قال النورسي- "مفسر كتاب العالم، وحجة الله على الأنام".[٢] كل الأنام، عالمهم وجاهلهم، عربهم وعجمهم؛ لأن اللغة العربية ليست شرطا في قراءة الكون! فيكفي أن تفهم المعنى من القرآن الكريم أو بالأحرى بعضه، ولو مترجما لينطلق الفكر في "القراءة" للأحرف الكبيرة فما العالم كله إلا كتاب كبير.

ب- القرآن روح لحياة الكون:

ومعنى ذلك أنه ما دام المتكلم به هو الله رب العالمين -بالمعنى الذي ذكرنا- أي "خالق كل شيء" سبحانه؛ فإنه لا شيء إلا وهو راجع -في

(١) اللمعات، ص ١٩٦.

(٢) المثنوي العربي النوري، ص ٥٥.

حقيقة وجوده- إلى حقائق القرآن الكريم الكونية. وإنما القرآن نور صادر من الرب العظيم الذي هو ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(النور:٣٥) وإذن؛ فلا شيء بعد نوره إلا الظلام، ولا شيء بعد وجوده إلا العدم! وإنما حقيقة المخلوقات أنها موجودة باسمه تعالى، أي "بسم الله الرحمن الرحيم". فوجودها رهين بوجوده تعالى، وتجليها رهين بتجلي نوره سبحانه. فكان الكون بذاته دالا على "وجوب وجود" رب الكون العظيم.

وما علمنا ذلك كله إلا من خلال القرآن الكريم الذي هو كلام رب العالمين الخالق لكل شيء؛ إذن فالقرآن يمثل -من حيث حقائقه- حقائق الكون كله، بدءا بقصة الخلق إلى غاية الإعادة من يوم القيامة: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾(الأنبياء:١٠٤) ثم البعث والنشور، فالمصير. فلو تصور عدم حقائق القرآن -وهو فرض محال- لاستحال تصور وجود العالم الكوني كله! ثم إن حقائق القرآن التي هي التفسير السليم لنظام الكون؛ هي وحدها القادرة على الحفاظ على ذلك النظام الكوني في العقل. ولو افترضنا تفسيرا غيرها؛ لعمت الفوضى تصورات العقول، ولاختل التوازن في الفكر، بتصورات لا يمكن إلا أن تؤدي في النهاية إلى افتراضات تفضي في المنطق العقلي إلى اختلال الكون كله في التصور. وهو محال. وبهذا المعنى كان القرآن عند النورسي "روح حياة الكون".

يقول بديع الزمان: "ما دام الكون قد خُلق لأجل الحياة، وأن الحياة هي أعظم تجل، وأكمل نقش، وأجمل صنعة، "للحي القيوم" ﷻ، وما دامت الحياة السرمدية الخالدة، تظهر وتكشف عن نفسها، بإرسال الرسل وإنزال الكتب (...) فلا بد أن الحياة التي في الكون كما أنها تدل -بصورة قاطعة- على "الحي الأزلي" ﷻ، وعلى وجوب وجوده؛ تدل كذلك على

شعاعات تلك الحياة الأزلية وتجلياتها -مما له ارتباط وعلاقات معها- من أركان الإيمان، مثل "إرسال الرسل" و"إنزال الكتب"، وتثبتهما رمزا. ولا سيما "الرسالة المحمدية" و"الوحي القرآني". إذ يصح القول: إنهما ثابتان قطعيان كقطعية ثبوت تلك الحياة، حيث إنهما بمثابة روح الحياة وعقلها (...) والوحي القرآني -بشهادة حقائقه الحيوية- روح لحياة الكون وعقل لشعوره.

أجل.. أجل.. أجل! فإذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره مات الكون وتوفيت الكائنات، وإذا ما غاب القرآن وفارق الكون؛ جن جنونه وفقدت الكرة الأرضية صوابها، وزال عقلها، وظلت دون شعور، واصطدمت بإحدى سيارات الفضاء، وقامت القيامة!"[1] فقوله: "إذا ما غاب القرآن وفارق الكون" يعني: "غابت حقائقه" التي هي في الواقع "حقائق الكون" نفسه. إذ ثبت أنما القرآن قراءة لكتاب العالم، كما بيناه آنفا.

ج- القرآن محيط بمفهوم الزمان الكوني:

إذا كان القرآن كلام الله رب العالمين، فإنه صفة له سبحانه؛ لأن الكلام صفة للمتكلم. وقد علم أن الله ﷻ محيط بالزمان والمكان. تعالى الله أن يحكمه زمان أو مكان، بل هو الحاكم على الزمان والمكان. فهو فوق كل شيء، ومحيط بكل شيء، لأنه تعالى "خالق كل شيء". من هنا إذن كان القرآن محيطا الزمان الكوني: الماضي والحاضر والمستقبل، ثم الزمان الأرضي، وهو الزمان بالتقدير البشري الدنيوي مما نعد به التاريخ والأعمار، والزمان المعراجي وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ

(١) اللمعات، ص ٥٦٧-٥٦٨.

مِمَّا تَعُدُّونَ﴾(السجدة:٥)، ﴿تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(المعارج:٤) والزمان العِنْدِيّ وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾(الحج:٤٥) ثم الزمان الأخروي وهو الزمان الخالد الذي لا ينتهي، مما يكون بعد إعادة الخلق، حيث قيام يوم الدين، من بعث، وحشر، وحساب، وجنة ونار. فحديث القرآن عن ذلك كله حديث واحد، كأنه زمان واحد. ومن هنا كان محيطا بكل الزمان، مما ينتسب إلى عالم الغيب أو إلى عالم الشهادة. كل ذلك عنده سواء. ولذلك قال النورسي: "فالقرآن إذاً كلام من ينظر إلى كل الأزمنة بما فيها من الأمور والأشياء في آن واحد".[1] فإذا كان ذلك كله كما علمت، وكان القرآن -كما تبين- قراءة في كتاب الكون، فإن هذا الكون نفسه دال باللزوم على الآخرة.

قال بديع الزمان: "فاعلم من هذا أن "العدالة والاقتصاد والطهر" التي هي من حقائق القرآن ودساتير الإسلام، ما أشدها إيغالا في أعماق الحياة الاجتماعية، وما أشدها عراقة وأصالة. وأدركْ من هذا مدى قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون، وكيف أنها مدت جذورا عميقة في أغوار الكون فأحاطته بعرى وثيقة لا انفصام لها. ثم افهم منها أن فساد تلك الحقائق ممتنع كامتناع إفساد نظام الكون والإخلال به، وتشويه صورته.

ومثلما تستلزم هذه الحقائق المحيطة بالكون (...) فهناك حقائق محيطة معها، كالرحمة والعناية والرقابة، وأمثالها مئات من الحقائق المحيطة والأنوار العظيمة، تستلزم الحشر، وتقتضي الحياة الآخرة!"[2]

---

(١) الكلمات، ص ٢٩٦.

(٢) اللمعات، ص ٥٢٦.

٣- رسالية القرآن الكريم وغايته التعبدية:

وهي الوحدة الثالثة من وحدات التعريف المدروس. وقد سبق القول: إنها تبتدئ من قوله: "وكذا هو مربّ للعالم الإنساني" إلى قوله: "كذلك هو كتاب فكر".

إن القرآن الكريم رسالة إلى العالم البشري من رب الكون.

وهذه الجملة كافية لبيان الدلالة المفهومية العظيمة للقرآن. ذلك أن الله تبارك وتعالى لم يكن يتكلم بالقرآن وكفى. ولكنه كان يخاطب به مخاطبا ما. ذلك المخاطب هو الإنسان. وهذه حقيقة من أعظم الحقائق التي قتلها "التعود" البشري الذي يطمس كثيرا من الحقائق العظيمة في هذا العالم. ولعل النورسي بتفكره وتدبره قد اهتز وجدانه لهذه الحقيقة الكبرى. فكان أن وجد نفسه منجرفا بشكل وجداني لخدمة هذا القرآن. ومن هنا انبنى مشروعه كله على هذا الهدف غاية ووسيلة. أي إنه جعل القرآن غايته وهو في الآن نفسه وسيلته. ومن هنا جاء في تعريف القرآن لديه، مما سبق ذكره: "وكذا هو مربّ للعالم الإنساني. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد الهادي إلى ما خُلق البشر له. وكذا هو للإنسان: كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب حكمة. وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة. وكما أنه كتاب ذكر، كذلك هو كتاب فكر".

فأنت ترى أن النورسي لم ينظر إلى القرآن -في جانبه التشريعي- على أنه مجرد مصدر من مصادر التشريع، أو المصدر الأول للتشريع وكفى! كما هو منصوص عليه في البحوث الأصولية والفقهية. بل لقد نظر إلى هذه الشريعة القرآنية على أنها تربية للعالم الإنساني، ونور له في عالم

الظلمات، تهديه إلى منابع الخير والجمال، لتنتهي به إلى غاية الغايات: ألا وهي الوصول إلى الله. ومن هنا كان القرآن عنده "معراجا" للمؤمنين.

لقد كان انتباه النورسي إلى المعنى الرسالي للقرآن بابا فتح عليه من معاني النور مواجيد لا تنتهي لذاذاتها أبدا. وبهذا المنظار نظر إلى رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ: إنه رسول جاء بالقرآن! فأعظم به من رسول إذن! جاء يحمل هذا الكتاب الكوني العظيم إلى البشرية على أنه رسالة من رب الكون إليهم. قال بديع الزمان واصفا إياه بأنه: "أعظم من استوفى مهمة الرسالة بالقرآن الكريم، وأداها أفضل أداء في أسمى مرتبة، وأبلغ صورة، وأحسن طراز، فلبى إرادة رب العالمين في صرف وجه هذا الإنسان من الكثرة إلى الوحدة، ومن الفاني إلى الباقي".[1]

إن قيمة الرسالة -أي رسالة- تتحدد أولا وقبل أي شيء بقيمة مصدرها: أي معرفة من أرسلها؟ ومن هنا كان من فطرة الإنسان أن يبادر كلما تسلم رسالة بشرية إلى النظر في الغلاف؛ لمعرفة الجهة أو الشخص الذي أرسل إليه تلك الرسالة. وهناك يتحدد عنده الاهتمام أو عدمه، إذ يعرف "مَن؟" فيكترث ويهتم بقدر قيمة المرسل عنده. لقد انبهر بديع الزمان بالقرآن الكريم أشد انبهار. إذ وجد أن المرسِل هو الله رب العالمين! ولذا كان لا يفتأ يذكر هذا المعنى العظيم في كل مبحث من مباحث رسائل النور، لا يكاد يسكت عن ذلك، ولا قليلا! ولقد أوردنا من ذلك شواهد عند بيان "الوحدة" الأولى من وحدات التعريف، فلا حاجة للإعادة.

فإذا تمت لديه عناصر "الإرسالية" عظم الشأن عنده أكثر، ووصل الانبهار إلى غايته: وهي الانخراط في سلك الخدمة والسير إلى الله على

(١) المكتوبات، ص ٢٧٨.

سبيل الإصلاح والتجديد، وإيقاظ همم الناس: كأنه انتفض ليقول لهم: أيها الناس إن هذا القرآن هو رسالة رب العالمين إليكم!

لقد أدرك بديع الزمان "عناصر الإرسالية". ذلك أن عناصر الإرسالية الأربعة تتحد بوجود المرسل، والمرسل إليه، والمضمون المرسل به، أو القصد، ثم المقام الشامل لظروف الرسالة. فالقرآن كلام رب العالمين هو، بذاته سبحانه المتكلم به؛ رسالة إلى الناس الحيارى -بدونه- في هذه الأرض. فهم إذن المخاطبون به. ولذلك جاء فيه أن هذا سبيل النجاة لكم أيها الحيارى! هذا كشف اللغز الكوني الرهيب! هذا بلسم الحيرة والقلق المحيط بالإنسان؛ من توقع الفناء والعدم. هذا بيان البدء والنشأة والمصير. هذه قصة الخلق كاملة ملخصة، بما لا يدع مجالا للشك، أو الحيرة، والتردد في الانطلاق سيرا إلى هذا الرب الرحمن الرحيم، الذي خلق ثم هدى! ذلك مضمون الرسالة. وأما مقامها فهذه الظروف البشرية الحياتية في الكرة الأرضية، وهذا السير البشري المتدفق في كل الاتجاهات؛ بحثا عن مخرج ما من ظلام لغز الحياة، وطلسم وجود الكائنات، وتناقض المذاهب والفلسفات!

في خضم كل ذلك جاء القرآن يحمل رسالة الهداية إلى الناس. إن بديع الزمان تحدث عن سر إعجاز القرآن فقال بكلمة موجزة، لكنها دالة حكيمة. قال رحمه الله: "اعلم أن منابع علو طبقة الكلام، وقوته، وحسنه، وجماله؛ أربعة: المتكلم، والمخاطب، والمقصد، والمقام، لا المقام فقط كما ضل فيه الأدباء! فانظر إلى من قال؟ ولمن قال؟ ولما قال؟ وفيما قال؟ فالكلام إن كان أمرا ونهيا فقد يتضمن الإرادة والقدرة بحسب درجة المتكلم، فتتضاعف علويته وقوته!"[1]

(١) المثنوي العربي النوري، ص ٧٨.

إن المفهوم الرسالي للقرآن الكريم قائم أساسا على تبليغ مضمون ما للناس. ذلك المضمون هو الذي سماه بديع الزمان -في عدة مواطن من رسائل النور- بـ"مقاصد القرآن الأربعة" وهي: "التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة". قد تختلف عباراتها من نص إلى آخر، وقد تتفق، ولكن المضمون واحد. قال رحمه الله: "إن المقاصد الأساسية من القرآن، وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة".[1] وقال أيضا: "فاعلم أن المقصد الأصلي في القرآن الكريم هو إرشاد الجمهور إلى أربعة أساسات هي: إثبات الصانع الواحد، والنبوة والحشر، والعدالة".[2] ونحو هذا كثير.

إن الرسالة القرآنية قائمة على إثبات هذه المقاصد؛ لتكون هي أساس "الوظيفة" التي نزل القرآن الكريم من أجلها. أعني الهدف الأسمى الذي يمثل المفهوم الرسالي للقرآن الكريم. ذلك أن إثبات المقاصد الأربعة لم يكن من أجل إثباتها لذاتها؛ لأنها ثابتة بالأصالة عند الله ﷻ، وإنما كان الإثبات مقصودا من أجل أن يقوم الإنسان بوظيفة العبودية لله الواحد القهار، ويؤدي خدمته التي أنيطت به في هذا الكون، ألا وهي التعلق بأنوار الأسماء الحسنى، والانتساب إلى دائرة الربوبية من خلال دائرة العبودية؛ ومن هنا كانت "رسالة القرآن" هي تعليم الناس شؤون الدائرتين. يقول بديع الزمان: "الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم هي تعليم شؤون دائرة الربوبية، وكمالاتها، ووظائف دائرة العبودية وأحوالها".[3] وبهذا المعنى كان القرآن الكريم هو "المعراج" التعبدي للعبد السائر إلى الله.

---

(١) إشارات الإعجاز، ص ٢٣.

(٢) إشارات الإعجاز، ص ١٧٧.

(٣) الكلمات، ص ٢٩٣.

ذلك أن الدخول إلى "الحقيقة" من باب خدمة القرآن والاشتغال به؛ هو "المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه، وأقربه إلى الله، وأشمله لبني الإنسان. ونحن قد اخترنا هذا الطريق!"[1]

٤- عرضه الكثرة من عين الوحدة:

إن القرآن الكريم بمفهومه الكوني قائم على مبدأ التوحيد، الذي يقوم بدوره على تفسير الكثرة القائمة في الكون بإرجاعها إلى الوحدة. فما دام الله رب العالمين هو ﷻ: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(الأنعام:١٤١)؛ فإن "كل شيء" خاضع له ﷻ -طوعا أو كرها- وشاهد له بالوحدانية. إذ لا حياة، ولا بقاء، ولا كينونة؛ لأي شيء؛ إلا بمقدار ما يعكس من أنوار الأسماء الحسنى.

ومن مقتضيات هذا المفهوم أيضا: أن الرسائل السماوية جميعها، والأنبياء كلهم؛ إنما هم لوظيفة واحدة، ورسالة واحدة، لخصها القرآن جميعها في أسلوب واحد!

وقد سبق قول النورسي في تعريفه المذكور للقرآن: "كما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة، في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية. كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل؛ حتى إنه أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة، من الأولياء والصديقين، ومن العرفاء والمحققين؛ رسالةً لائقةً لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره، حتى كأنه مجموعة الرسائل".

وهو دال بذلك على أن القرآن الكريم قد يحتوي على كل فضائل

(١) صيقل الإسلام، ص ١٢٣.

الكتب السماوية السابقة ويزيد عليها. فهو جامع لها جميعا، ومضيف إليها فوائد مما لم يرد بها؛ حتى لكأنه مجموعة من الكتب لا كتاب واحد! وذلك من نعم الله الكريم على هذه الأمة؛ حتى يتسنى لكل إنسان أن يسلك إلى ربه، حسب مؤهلاته الفطرية، ومواهبه الجبلية. فرُبّ شخص تميل به فطرته إلى الزهد والتقلل، ورب آخر يميل إلى الاستدلال العقلي، وآخر إلى التفكر والتدبر، وآخر إلى التفقه والتعلم، والبحث في دلائل الإعجاز...إلخ. وكلها طرق موصلة عبر القرآن الكريم إلى الله. ولذلك كان جامعا لها جميعا من حيث الإمكانات التي يتيحها للإنسان في سيره إلى الله. ومن ألطف ما ورد لدى النورسي من التعبير عن ذلك قوله:

"إن الجهات الست للقرآن الكريم منورة وضاءة، لا تدنو منها الشبهات والأوهام؛ لأن:

من ورائه العرش الأعظم يستند إليه، فهناك نور الوحي.

وبين يديه سعادة الدارين، يستهدفها، فقد امتدت ارتباطاته وعلاقاته بالأبد والآخرة. فهناك نور الجنة ونور السعادة.

ومن فوقه تتلألأ آية الإعجاز وتسطع طغراؤه.

ومن تحته أعمدة البراهين الرصينة والدلائل الدامغة، ففيها الهداية المحضة.

وعن يمينه يقف استنطاق العقول وتصديقها، لكثرة ما فيه "أفلا يعقلون".

وعن يساره استشهاد الوجدان؛ حتى ينطق من إعجابه: "تبارك الله" بما ينفخ من نفحات روحية للقلب".[1]

ولذلك قال في موطن آخر: "للوصول إلى الله ﷻ طرائق كثيرة وعديدة.

(١) المكتوبات، ص ٢٤٨.

ومورد جميع الطرق الحقة، ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم".[1]

وقد ثبت في القرآن نفسه أنه جامع للكتب السماوية السابقة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾(الأعلى:١٨-١٩) وكما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(النمل:٧٦-٧٧). وقد فصل هذا المعنى العجيب حديثٌ نبوي شريف، تشد إليه الرحال! قال ﷺ: "أُعطيتُ مكان التوراة السبع الطوال، وأُعطيتُ مكان الزبور المئين، وأُعطيتُ مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلْتُ بالمفصل!"[2]

ومن هنا اعتبار النورسي القرآن أنه ملخص للكتب السابقة. قال في أحد ابتهالاته: "لا آية من آيات التوحيد القاطعة للقرآن، المعجز البيان، الذي يلخص جميع الكتب المقدسة الحقة، ولا مسألة من مسائله القدسية؛ إلا وتشهد شهادة، وتملك دلالة، وتعرض إشارة؛ على وجوب وجودك، وعلى صفاتك المقدسة!"[3]

ثم إن عرض الكثرة من خلال الوحدة بعد ذلك؛ لا يتجلى في كون القرآن -وهو كتاب واحد- يتضمن عدة كتب ورسائل فحسب؛ كلا بل يتعداه إلى عرض الكثرة الكونية من خلال الوحدة الخَلْقية، كما أشرنا قبل. ومن هنا كان مفهوم القرآن واحدا وهو كثير! أو كان كثيرا وهو واحد! وبيان ذلك أن الناظر في الكثرة التي تطبع الكون والتنوع الذي يميز عناصره المختلفة، قد يتيه في تتبع ذلك، وقد يضل عن تبين الحقيقة، إذ

---

(١) المكتوبات، ص ٥٩٤.

(٢) رواه الطبراني والبيهقي. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم: ١٠٥٩.

(٣) الشعاعات، ص ٧٤.

يغرق في الكثرة ولا يجد منها سبيلا إلى الحقيقة الواحدة غير المتعددة. فربما أشرك وألّه الأشياء، وربما جحد وألحد في آيات الله. بينما المؤمن إذ يقرأ القرآن إنما يقرأ بذلك آيات الله في الكون، فأحرف القرآن الصغيرة قراءة لأحرف الكون الكبيرة، كما سبق قول بديع الزمان. والقرآن هادي العباد إلى "نقطة الاستناد" الوحيدة في هذا العالم. ألا وهي تفرد الخالق ﷻ بطغراء واحدة، مسكوكة على سائر مخلوقاته، لا يدركها حق الإدارك إلا من سلك طريق القرآن، الذي يعرض هذه الكثرة من خلال هذه الطغراء الواحدة.

يقول بديع الزمان: "إن القرآن الكريم يفوض أمر المخلوقات غير المحدودة إلى الصانع الواحد، ويسند إليه كل شيء مباشرة، فيسلك طريقا سهلا بدرجة الوجوب، ويدعو إليها، وكذلك يفعل المؤمنون".[1] وذلك يكون بالجمع بين مفهومين عظيمين من مفاهيم التوحيد لدى النورسي، ألا وهما: "الواحدية" و"الأحدية".

إن القرآن الكريم إذ يجمع بين مفهومي "الواحدية" و"الأحدية" يقود الإنسان من خلال الكثرة إلى الوحدة، وإلى مشاهدة الخالق جل وعلا في جمال صنعه، وكمال إبداعه. وقد بينا في دراسة مصطلح "التوحيد" لدى النورسي؛ أن الفرق بين الواحدية والأحدية راجع إلى كون "الواحدية: هي صفة الله تعالى في وحدانيته، وتفرده في ذاته، بغض النظر عن شهادة خلقه له. وهذا المعنى راجع إلى التصور الذهني للتوحيد.

أما "الأحدية": فهي مشاهدة ذلك في خلقه. أي دلالة الخلق عليه سبحانه، من خلال ما سماه من قبلُ "بخاتم التوحيد"، أو "سكة التوحيد"،

(١) المكتوبات، ص ٣٣٤.

أو "طغرائه". فإذا كانت "الواحدية" تُدْرَك بالاعتقاد، فإن "الأحدية" لا تدرك إلا بالمشاهدة".[1] وهذا بالذات معنى كون "القرآن يعرض الكثرة من عين الوحدة" على المستوى الكوني.

وللنورسي كلام جميل جدا في التمثيل لذلك في الواقع المشاهد. قال: "إن تجلي الواحدية في مخلوقات لا حد لها، لا يحيط به كل من يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حيث يتشتت الفكر ويتيه في تلك الكثرة، إذ يلزم لملاحظة ذات الله الأحد من خلال مجموع المخلوقات لدى خطاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وجود قلب واسع يسع الأرض كلها! فبناء على هذا السر الدقيق؛ فإن الله سبحانه يبين بجلاء طابع الأحدية في كل جزء، مثلما يظهره في كل نوع؛ وذلك لتشد الأنظار إلى ذات الله الأحد، وليتمكن كل شخص -مهما بلغت مرتبته- من التوجه المباشر في خطابه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى ذات الله الأقدس سبحانه، من دون تكلف أو صعوبة.

فتبيانا لهذا السر العظيم؛ فإن القرآن الكريم عندما يبحث في آيات الله في أجواء الآفاق، وفي أوسع الدوائر، إذا به يذكر أصغر دائرة من دوائر المخلوقات، وأدق جزئية من جزئياتها؛ إظهارا لطابع الأحدية بوضوح في كل شيء. مثال ذلك: عندما يبين القرآن الكريم آيات خلق السماوات والأرض؛ يعقبها بآيات خلق الإنسان، وبيان دقائق النعمة، في صوته، وبدائع الحكمة في ملامحه، كي لا يتشتت الفكر في آفاق شاسعة، ولا يغرق القلب في كثرة غير متناهية، ولتبلغ الروح معبودها الحق دون وساطة. فالآية الكريمة الآتية تبين الحقيقة السابقة بيانا معجزا: ﴿وَمِنْ

(١) انظر مصطلح "التوحيد" ومشتقاته من هذا الكتاب.

آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾(الروم:٢٢)".[١]

وهذا التفات عظيم إلى أدق المعاني الإشارية للقرآن الكريم، إذ بين النورسي رحمه الله، أن الله تعالى قرن بين الدلائل العظيمة، ذات الامتداد البعيد عن الإدارك البشري الشامل: السماوات والأرض، والدلائل الدقيقة، الداخلة في صميم الاجتماع البشري: كالتعدد اللغوي والجنسي. لأن الذي خلق ذلك الامتداد؛ هو نفسه الذي خلق هذه الذرات الدقيقة من جسم الإنسان وجلده. هذا الإنسان الذي ليس إلا فهرسا لذلك الامتداد! كما بيناه قبل من قول بديع الزمان. فيظهر بذلك خاتم التوحيد على كل شيء، ويجد المؤمن طريقا إلى الله من كل شيء.

إنه مفهوم يدل حقا على أن القرآن الكريم قد جمع الكثرة الكونية، فصاغها في طابع واحد، هو خاتم الخالقية العظمى، الذي يفتح الباب لقلب المؤمن؛ من أجل مشاهدة جمال الله وجلاله، وبذلك يتحقق هدف القرآن الأسمى: توظيف كل شيء في توحيد الله، الواحد الأحد، الفرد الصمد. فمن خلال القرآن تجد كل شيء -ككل شيء- يدل على من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(الشورى:١١) فإذن؛ كل الطرق المشاهدة بمنظار القرآن تؤدي إلى الله. وبهذا كان القرآن أضمن سبيل، وأسلم طريق. قال رحمه الله: "القرآن الكريم يعفي الكائنات بكل وضوح عن الإعدام، ويطلق سراحها من السجن. فهذا الطريق على نهج القرآن ينظر إلى الكائنات أنها مسخرة لفاطرها الجليل، وخادمة في سبيله. وأنها مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى. كأنها مرايا تعكس تلك التجليات، أي إنه يستخدمها بالمعنى الحرفي، ويعزلها عن المعنى الاسمي، من أن تكون خادمة ومسخرة

(١) اللمعات، ص ١٥١-١٥٢.

بنفسها. وعندها ينجو المرء من الغفلة، ويبلغ الحضور الدائمي على نهج القرآن الكريم، فيجد إلى الحق سبحانه طريقا من كل شيء".[1]

- ثانيا: قيمته الاصطلاحية:

لا ريب أن كلمة "قرآن" هي من أرسخ الألفاظ العربية من حيث الدلالة الاصطلاحية. أعنى من حيث هي اسم عَلَم دال على معنى مخصوص، هو: كتاب الله المنزل على نبيه محمد بن عبد الله ﷺ. فدلالة هذا اللفظ على عموم هذا المعنى هو مما اشتهر اشتهارا، ليس عند المسلمين فحسب، بل عند البشرية جمعاء. ولو نطقت اليوم كلمة "قرآن" هكذا باللفظ العربي، أمام رجل أعجمي من غير المسلمين؛ لما تردد في معرفة المقصود، أو على الأقل لتبادر إلى ذهنه -من أول ما يتبادر إليه من الاحتمالات الدلالية- المعنى العَلَمي للقرآن الكريم! فما بالك بالمسلمين من العرب والعجم؟

إن اصطلاحية القرآن هي أم المصطلحات الإسلامية جمعاء، في سائر علوم الإسلام على الإطلاق. فإنما ولد المصطلح الإسلامي، في علوم التفسير والحديث والفقه والأصول والكلام والتصوف...إلخ؛ من ألفاظ القرآن الكريم، وكلماته؛ نقلا واشتقاقا، واستنباطا. "فالقرآن" هو منبع الاصطلاح الإسلامي ككل. ومن هنا كانت دلالته الاصطلاحية من أكبر الدلالات وأرسخها؛ حتى كانت ترجمته الاسمية العَلَمية إلى اللغات العالمية نقلا حرفيا للفظ العربي "قرآن" ليس إلا. على نحو في ما في الترجمة الإنجليزية: "QURAN"، ونحو ما في الترجمة الفرنسية: "CORAN".

---

(١) المكتوبات، ص ٥٩٧.

- ثالثا: ضمائمه:

١- أسرار القرآن:

أسرار القرآن: هي حقائقه الخفية، ونكته اللطيفة، التي تستنبط من مقتضيات نصوصه، على سبيل التكميل والتتميم؛ لما استنبطه الأولون.

فبمقتضى هذا التعريف المستفاد من كلام النورسي؛ يخرج عن معنى "أسرار القرآن" كل الفهوم "الباطنية"، والتأويلات المغرضة، التي لا يقبلها منطق اللغة، والتي ناقضت ما فهمه السلف -من الصحابة ﷺ- من مقتضى دلالاته اللغوية. فـ"أسرار القرآن" إنما هي معان لطيفة تشير إليها نصوصه اللغوية، أو على الأقل لا ترفضها. قد تخفى في البداية على كثير من الناس، لكنها قد تظهر عند التدبر والتأمل، أو بسبب اكتشاف علمي في مجال الطبيعة والحياة؛ مما يرجح وجود ذلك المعنى من الآية، لكنه لا يكون نقضا لفهوم السلف، ولا هو غير مقبول في المقتضى اللغوي للنص القرآني. ومن هنا كان لكل عصر حظه من "أسرار القرآن" على حسب تدبر رجاله واجتهادهم.

قال بديع الزمان عن مقولة إنه "لا تعرف أسرار القرآن معرفة كاملة، ولم يدرك المفسرون حقيقته؟" هذا المفهوم له وجهان. والقائلون به طائفتان:

الطائفة الأولى: هم أهل الحق والعلم والتدقيق. فهم يقولون: إن القرآن الكريم كنز عظيم لا ينفد، وإن كل عصر يأخذ حظه من حقائقه الخفية التي هي من قبيل التتمات، مع التسليم بنصوص القرآن ومحكماته من دون أن يتعرض أو يمس ما خفي من الحقائق من حظ أهل العصور الأخرى. وحقا إن حقائق القرآن تتوضح أكثر كلما مضى الزمان، ولا يعني هذا أبدا إلقاء ظل الشبهة على ما بينه السلف الصالح من حقائق

القرآن الظاهرة، لأنها نصوص قاطعة، وأسس وأركان لا بد من الإيمان بها. وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾(النحل:١٠٣) يوضح أن معنى القرآن واضح مبين. فالخطاب الإلهي من أوله إلى آخره يدور حول تلك المعاني ويقويها حتى يجعلها بدرجة البداهة. لذا فإن رفض تلك المعاني المنصوص عليها يؤدي إلى تكذيب الله ﷻ "حاش لله"، وإلى تزييف فهم الرسول ﷺ "حاشاه" (...).

الطائفة الثانية: وهم أصدقاء حمقى! يفسدون أكثر مما يصلحون! أو أنهم أعداء ذوو دهاء شيطاني. يريدون أن يتصدوا للأحكام الإسلامية ويعارضوا الحقائق الإيمانية".[1]

٢ - إعجاز القرآن:

إعجاز القرآن: هو كشف غطاء الإلفة عن خوارق القدرة البديعة، وبيانه أن كل كلمة وحرف من آياته هو بمثابة خزينة من الحقائق.

إن هذا التعريف المركب، أو قل: المنتقى من عدة مواطن من تعبيرات النورسي، وتفسيره لمعنى "إعجاز القرآن"؛ يقوم على أساسين اثنين: الأول كوني، والثاني بلاغي. وكلا الأمرين محكوم بقاعدة الإعجاز لدى النورسي، التي ضبط بها مفهوم الإرسالية. وهي قوله السالف الذكر: "اعلم أن منابع علو طبقة الكلام، وقوته، وحسنه، وجماله؛ أربعة: المتكلم، والمخاطب، والمقصد، والمقام، لا المقام فقط كما ضل فيه الأدباء! فانظر إلى من قال؟ ولمن قال؟ ولما قال؟ وفيما قال؟ فالكلام إن كان أمرا ونهيا فقد يتضمن الإرادة والقدرة بحسب درجة المتكلم، فتتضاعف علويته وقوته!"[2] ومن خلال هذا المنظار الرباني: أي اعتبار أن القرآن "كلام الله

(١) المكتوبات، ص ٥٠٠-٥٠١.

(٢) المثنوي العربي النوري، ص ٧٨.

رب العالمين" نزل "رسالة" إلى موجهة الناس بمضمون "الرسالي" -كما بيناه قبل- في ظروف أرضية بشرية حائرة تمثل مقام الخطاب. قلت: من خلال ذلك يمكن تبين المقصود بالشقين: الكوني والبلاغي لدى النورسي في هذا التعريف المركب من عباراته وكلماته. وأحسب أن بديع الزمان قد جاء بمفهوم جديد لمعنى "الإعجاز"، ولم يقف عند حد الجانب البلاغي كما هو في أغلب كتب البلاغة العربية، وعلوم القرآن المتأثرة بها.

فأما الأول: وهو الجانب الكوني؛ فمفهوم "الإعجاز" فيه راجع إلى أن القرآن الكريم قام على مبدأ "تمزيق غطاء الإلفة" أو كشف "ستار العادة" عن الأشياء؛ لتظهر حقائقها الغريبة، وأسرارها العجيبة، مما لا ينتبه إليه الإنسان بفعل الإلف الحياتي، وموت حاسة التفكر والتدبر لديه. وهذه حقيقة نفسية عجيبة، انتبه إليها بديع الزمان، وعمل على تحطيم حواجزها. ذلك أن الشيء قد يكون غريبا حقا، لكنه بسبب تكرار المشاهدة غير المتدبرة، يفقد غرابته في النفوس، فلا ينتبه بعد ذلك إليه أحد! ففي زماننا هذا مثلا نجد المرء الذي يركب الطائرة لأول مرة في حياته يشعر بنوع من الرهبة، ليس بدافع الخوف من السقوط فقط، ولكن أيضا بسبب الغرابة الناتجة عن طيران هذا الحجم من الحديد في السماء، وعلوه طبقات الفضاء، سابحا فوق السحاب بعدة أميال! لكنه بمجرد ما يركب الطائرة المرة الثانية، والثالثة...إلخ. يتعود على المشهد؛ فلا يثير في نفسه أي استغراب بعد ذلك. وهو أمر نفسي سارٍ على جميع الأشياء؛ بدءا بخلق الإنسان في بطن أمه، وولادته، ورضاعه، ونموه، حتى هرمه وموته؛ إلى أعظم مخلوق في هذا الكون من مجرات وسماوات! كل ذلك في الحقيقة غريب عجيب، لا تكاد أسراره تنتهي أبدا! مهما طال التفكر وتعمق التدبر.

إن القرآن العظيم -وهو كلام الله الخالق لهذه العوالم جميعا، دقيقها وعظيمها- قد قام إعجازه على لفت الانتباه؛ إلى عجائب صنع الله وخلقه، فيما تعودناه، وما لم نتعوده. إنه يمزق حجاب العادة في النظر، ويكشف غطاء الإلفة في الفكر؛ حتى إذا نظر الإنسان إلى الأشياء بعد هذا "الكشف"؛ حصل له من الانبهار؛ ما يثبت لديه عظمة الخالق سبحانه. وبذلك يتحقق "إعجاز القرآن"!

يقول الأستاذ سعيد النورسي: "إن القرآن الكريم ببياناته القوية النافذة، إنما يمزق غطاء الألفة وستار العادة، الملقى على موجودات الكون قاطبة، والتي لا تذكر إلا أنها عادية مألوفة! مع أنها خوارق قدرة بديعة، ومعجزاتها العظيمة. فيكشف القرآن بتمزيقه ذلك الغطاء حقائق عجيبة لذوي الشعور، ويلفت أنظارهم إلى ما فيها من دروس بليغة للاعتبار والعظة، فاتحا كنزا لا يفنى للعلوم أمام العقول!"[1]

ويضرب بديع الزمان لذلك مثالا عجيبا، بحيث يفرض أن المتلقي للقرآن في هذا الزمان، كان يعيش في العصر العربي الأول الذي نزل فيه القرآن، أعني عصر البعثة؛ مستحضرا لظروف الزمان والمكان؛ فينظر حينئذ إلى شساعة النقلة الوجدانية والتصورية، التي أحدثها القرآن في النفوس العربية، التي كانت أنظارها محدودة بما تصل إليه حواسها من مدركات مادية، دون تفكر أو تدبر، فجاء القرآن ليرفع من رتبة النظر؛ لدى أولئك البدو الرحل إلى مستوى كوني فسيح، لا يزال إلى اليوم مجالا مطلقا للسياحة العلمية المعاصرة. ولم تزل هذه تتعثر في تفسيره وإدراكه، رغم ما حصلت عليه من تقدم هائل، بالنسبة إلى مدارك ذلك الزمان.

---

(١) الكلمات، ص ١٥٠.

أما بالنسبة إلى الكون نفسه؛ فمدارك الإنسان لا تزال أضعف ما تكون! وأصغر من أن تحيط الإحاطة التامة، ولا بأسرار خلية الخلق الدقيقة، في الحيوان المنوي، لدى الإنسان، أو الحيوان!

فارجع إذن إلى عالم البداوة، وأنصت إلى هذا القرآن وهو يربي الإنسان العربي، القريب عهد بجاهليته، يربيه بما يشبه المستحيل! ليرتفع بتصوره للكون، وعالم الخلق؛ إلى أحدث ما وصل إليه الإنسان المعاصر وزيادة! على مستوى الإدراك العام، لا تفاصيل الجزئيات. والمعجزة الحقيقية أن الإنسان العربي ذاك؛ قد استجاب لهذه التربية، وارتقى فعلا، رغم محدودية مداركه واستعداده! فكان إنسانا كونيا! بسبب القرآن. وبذلك حقا تم "إعجاز القرآن" بهذا المعنى لدى بديع الزمان.

قال رحمه الله: "إذا شئت أن تشاهد، وتتذوق كيف تنشر كل آية من القرآن الكريم؛ نور إعجازها وهدايتها، وتبدد ظلمات الكفر، كالنجم الثاقب؛ تصور نفسك في ذلك العصر الجاهلي، وفي صحراء تلك البداوة والجهل، فبينا تجد كل شيء قد أسدل عليه ستار الغفلة، وغشيه ظلام الجهل، ولف بغلاف الجمود والطبيعة؛ إذا بك تشاهد وقد دبت الحياة في تلك الموجودات الهامدة، أو الميتة في أذهان السامعين، فتنهض مسبحة ذاكرة الله بصدى قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾(الجمعة:١) وما شابهها من الآيات الجليلة. ثم إن وجه السماء المظلمة، التي تستعر فيها نجوم جامدة، تتحول في نظر السامعين -بصدى قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾(الإسراء:٤٤)- إلى فم ذاكرٍ لله. كل نجم يرسل شعاع الحقيقة، ويبث حكمة حكيمة بليغة!

وكذا وجه الأرض التي تضم المخلوقات الضعيفة العاجزة، تتحول بذلك الصدى السماوي إلى رأس عظيم، والبر والبحر لسانين يلهجان بالتسبيح والتقديس، وجميع النباتات والحيوانات كلمات ذاكرة مسبحة؛ حتى لكأن الأرض كلها تنبض بالحياة!

وهكذا بانتقالك الشعوري إلى ذلك العصر تتذوق دقائق الإعجاز في تلك الآية الكريمة".[1]

وأما الوجه الثاني من مفهوم "إعجاز القرآن"، وهو الجانب البلاغي: فهو عند النورسي -رغم ارتباطه بالأسلوب والألفاظ القرآنية- وثيق الصلة بالجانب الأول. أي الجانب الكوني. ذلك أن عظمة الكلمات القرآنية بلاغيا؛ تكمن -لدى النورسي- في اختزالها لأسرار الكون بإيجاز وجزالة غير مسبوقين، ولا ممكنين في غير القرآن! ولما كان الله رب العالمين ﷻ هو المتكلم بهذا القرآن؛ فقد كانت كلماته وحروفه على قدر عظمة المتكلم، بلاغة وإعجازا. ومن هنا كانت الألفاظ القرآنية تتضمن من العلم والحكمة ما لا يسعه الخيال البشري! وحينما نقول: الألفاظ فإننا نعني كل ما يدخل في معنى "لفظ" مما يتلفظ به من القرآن: الجمل، والكلمات، والحروف! كل ذلك معجز -لدى النورسي- مركبا ومفردا! قال رحمه الله: "ليست آيات القرآن ولا كلماتها معجزة وحدها، وإنما كذلك حروف القرآن -كما في "ن" نعبد- هي مفاتيح نورانية لحقائق عظمى".[2]

ولـ"ن" هذه عنده قصة طريفة نحكيها مختصرة؛ للدلالة على دقة الملاحظة لدى بديع الزمان، وعمق التدبر للقرآن لديه، وجمال نظره الثاقب إلى مفهوم "إعجاز القرآن". إلا أنه يجب التنبيه قبل ذلك إلى أنه

(١) الكلمات، ص ١٥٢.

(٢) المكتوبات، ص ٥٠٩.

رحمه الله لم يسلك مسلك الباطنية في تفسير الحروف، كلا! وإنما بقي منضبطا في حدود ما تتيحه قواعد اللغة العربية، ومعانيها. ثم إنه أطلق العنان لوجدانه للسياحة في فضاء القرآن، من خلال الكلمات والحروف، انطلاقا من قواعد اللغة وضوابط التفسير.

قال رحمه الله في سياق الجزم باستحالة ترجمة القرآن الكريم: "إن كلمات القرآن التي جاءت بتلك اللغة العربية الفصحى الجامعة الخارقة، وفي صورة معجزة، وصادرة من علم محيط بكل شيء، يدير الجهات كلها؛ كيف توفي حقها كلمات ألسنة أخرى تركيبية وتصريفية، في ترجمة من هو جزئي الذهن، قاصر الشعور، مشوش الفكر، مظلم القلب؟ أم كيف تملأ كلمات ترجمةٍ محل تلك الكلمات المقدسة؟ حتى أستطيع القول، وأثبت أيضا: أن كل حرف من حروف القرآن الكريم بمثابة خزينة من خزائن الحقائق، بل قد يحوي حرف واحد فقط من الحقائق ما يملأ صحيفة كاملة (...)!

تأملت ذات يوم في "ن" المتكلم مع الغير في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وتحرى قلبي، وبحث عن سبب انتقال صيغة المتكلم الواحد؛ إلى صيغة الجمع ﴿نَعْبُدُ﴾؛ فبرزت فجأة فضيلة صلاة الجماعة وحكمتها من تلك النون (...) وهنا انكشفت حالة أخرى، إذ رأيت:

أن الجماعة لتي انضممت إليها قد أصبحت ثلاث جماعات ودوائر:

الأولى: هي الجماعة الكبرى المؤلفة من المؤمنين الموحدين، على وجه الأرض قاطبة.

الثانية: هي جماعة الموجودات كافة حيث ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾(النور:٤١) فرأيت نفسي مع صلاتها الكبرى، وفي تسبيحاتها

العظمى، وأن ما يسمى وظائف الأشياء وأعمالها؛ إن هو إلا عناوين عباداتها وعبوديتها! (...)

الثالثة: ورأيت عالما يبدأ من ذرات وجودي، وينتهي إلى حواسي الظاهرة؛ فهو عالم صغير وصغير، إلا أنه عظيم جدا يدعو إلى الحيرة والإعجاب. وهو عالم ظاهره متناه في الصغر إلا أن حقيقته عظيمة، ووظائفه جليلة، نعم رأيت أن كل جماعة من جماعات هذا العالم منهمكة بوظائف عبوديتها وواجبات شكرها. ورأيت أن اللطيفة الربانية التي هي في تلك الدائرة في قلبي تردد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ باسم هذه الجماعة. مثلما رددها لساني بنية الجماعتين العظيمتين الأوليين!

والخلاصة أن "نون" "نَعْبُدُ" تشير إلى هذه الجماعات الثلاث وتدل عليها.

وبينما أنا في هذه الحالة؛ إذا بالشخصية المعنوية المباركة لمبلغ القرآن الكريم قد تمثلت أمامي بعظمته ووقاره، وهو ﷺ على منبره المعنوي "المدينة المنورة"، وأسمع منه -كما سمع غيري- خطابا إلهيا موجها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾(البقرة:٢١) فرأيت -خيالا- أن كل من في تلك الجماعات الثلاث يتجاوب مثلي مع ذلك الخطاب الرباني العظيم قائلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾!

وهناك تمثلت حقيقة أخرى أمام الفكر، حسب قاعدة: "إذا ثبت الشيء ثبت بلوازمه" وهي:

ما دام رب العالمين قد اتخذ الإنسان مخاطبا له، فيتكلم مع جميع الموجودات، وأن هذا الرسول الكريم ﷺ قد قام بتبليغ ذلك الخطاب الرباني الجليل إلى جميع البشر، بل إلى جميع ذوي الشعور، وإلى جميع

ذوي الأرواح؛ فلا بد أن الماضي والمستقبل معا قد أصبحا بحكم الزمن الحاضر! وغدت البشرية كافة مجلسا واحدا، وجماعة واحدة، في صفوف مختلفة متنوعة، حيث الخطاب متوجه إليهم جميعا.

هناك بدا لي أن كل آية من آيات القرآن الكريم؛ في قمة البلاغة، ومنتهى الجزالة، وفي غاية الإعجاز الذي يشع نوره الساطع. حيث إن الآية تكسب علوها وسموها وقوتها؛ لصدورها من ذلك المقام السامي الرفيع، الذي لا نهاية لعظمته، ولا غاية لسعته، ولا منتهى لسموه! من ذي الجلال والعظمة المطلقة، من المتكلم الأزلي ﷻ".[1]

لقد كان "إعجاز القرآن" لدى بديع الزمان؛ منطلقا من تذوقه المنبهر بدلالة الكلمات الربانية على البعد الكوني، والمشهد الوجودي؛ ولذلك ارتقى مفهوم "البلاغة" عنده من مجرد "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" أو "مراعاة المقام" -كما هو عند البلاغيين، الذين سبق نقده لهم بشدة كما رأينا- إلى مراعاة أركان الكلام كله! بدءا بالمتكلم وانتهاء بالمتلقي!

٣- الإعجاز المعنوي للقرآن:

والإعجاز المعنوي للقرآن: هو ما يتلقاه "خادم القرآن" من إلهام، وما يفيض على قلبه من مشاهدات لحقائق الإيمان؛ بسبب تفرغه الخالص "لخدمة القرآن".

وذلك أن "إعجاز القرآن" تتعدى أنواره الربانية؛ لتشع بين أيدي خدامه؛ فيكون لهم بذلك منه مشاهداتٌ لحقائق الإيمان، أو -كما سماه النورسي- "إعجازٌ معنوي"، وهو ما تحقق لديه رحمه الله بما شاهده من حقائق انتظمت له في كليات رسائل النور، بصورة سلسة، غير متكلفة، ولا

(١) المكتوبات، ص ٥٠٦-٥٠٨.

متعنتة، بل بما هي أنوارٌ منعكسة عن شمس القرآن العظيم؛ فكانت بذلك في مستوى التحدي العالي للإلحاد والزندقة؛ بما أخرست فلسفةَ العصر المادية، والعبثية الوجودية.

إنه إذا كان القرآن الكريم معجزا بنصه فعلا، مبنىً ومعنىً بإطلاق، وباعتبار ما يعرضه من آيات في الأنفس والآفاق؛ فإنه كذلك "معجز بالمعنى" من خلال ما يُفِيضُ على خدامه من لطائف شهودية، وموافقات ربانية. ولهذا قال بديع الزمان: "إن الحقائق الإيمانية والقرآنية لها من السعة والشمول ما لا يمكن أن يحيط به ذكاء أذكى إنسان! أليس إذاً ظهور تلك الأكثرية المطلقة، لتلك الحقائق بدقائقها، لشخص مثلي مشوش الذهن، مشتت الحال، لا مرجع ومصدر له من الكتب، ويتم التأليف في سرعة، وفي أوقات الضيق والشدة؟ أقول: أليس ذلك أثرا من آثار الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، وجلوة من جلوات العناية الربانية، وإشارة غيبية قوية؟ (...) وهكذا فهذا التسهيل الخارق في التأليف، والتيسير في بيان الحقائق، بجعل أبعد الحقائق عن الفهم كأنها في متناول اليد، وتدريسها إلى أكثر الناس بساطة، وأمية، لا يكون في وسع شخص مثلي (...) لا شك أنه أثر من آثار العناية الإلهية، ولا يمكن أن يكون من حذاقة ذلك الشخص، بل هو جلوة من جلوات الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، وصورة منعكسة للتمثيلات القرآنية".[1]

٤- تلميذ القرآن:

وتلميذ القرآن: هو من انخرط في التربية القرآنية؛ حتى حصل الأخوّة الكونية، وسمو الروح وانبساطها؛ فكان عبدا لله ذاكرا له، بالتفكر

(١) الكلمات، ص ٤٨٢-٤٨٣.

والتدبر. فاستوعب وجدانه بذلك الكون كله، فلا يرى شيئا إلا من خلال "الأحدية"!

و"تلميذ القرآن" بهذا المعنى مناقض لـ"تلميذ الفلسفة" الذي -رغم أنه يتأمل ويتفكر في الكون- يعزل الأشياء عن دلالتها "الأحدية"، فكأن كل جرم أو مخلوق موجود بذاته ولذاته.

قال بديع الزمان: "أما التلميذ المخلص للقرآن فهو "عبد"، ولكنه لا يتنزل لعبادة أعظم مخلوق (...) إن تلميذ الفلسفة يفر من أخيه أَثَرةً لنفسه، ويقيم عليه الدعوى، أما تلميذ القرآن فإنه يرى جميع عباد الله الصالحين في الأرض والسماوات إخوانا له (...) حتى إنه يرى ما هو أعظم الأشياء كالعرش الأعظم والشمس الضخمة مأمورا مسخرا مثله!

ثم يمكنك قياس سمو الروح وانبساطها لدى التلميذين بما يأتي:

إن القرآن الكريم يمنح تلاميذه نماء ساميا للروح، وانبساطا واسعا لها؛ إذ يسلم إلى أيديهم بدلا من تسع وتسعين حبة من حبات المسبحة، سلسلة مركبة من ذرات تسع وتسعين عالما من عوالم الكون التي يتجلى فيها تسع وتسعون اسما من الأسماء الحسنى (...) فإن شئت فانظر إلى تلاميذ القرآن من الأولياء الصالحين (...) وأنصت إليهم حينما يقرؤون أورادهم، وانظر كيف أخذوا في أيديهم سلاسل الذرات، وعدد القطرات، وأنفاس المخلوقات! فيذكرون الله بها ويسبحونه ويقدسونه! تأمل كيف يتعالى ذلك الإنسان الهزيل، الذي يصارعه أصغر ميكروب، ويصرعه أدنى كرب! وكيف يتسامى في التربية القرآنية الخارقة؛ فتنبسط لطائفه وتسطع بفيض إرشادات القرآن!"[1]

(١) اللمعات، ص ١٨١-١٨٢.

فقوله في هذا النص: "فإن شئت فانظر إلى تلاميذ القرآن من الأولياء الصالحين (...) وأنصت إليهم حينما يقرؤون أورادهم، وانظر كيف أخذوا في أيديهم سلاسل الذرات، وعدد القطرات، وأنفاس المخلوقات! فيذكرون الله بها ويسبحونه ويقدسونه!" هو ما عبر عنه بـ"الأحدية" التي لا تدرك إلا بالمشاهدة، كما بيناه في محله.[1]

ومن هنا كانت أهم الدروس التي يتلقاها "تلميذ القرآن" من القرآن هي توجيهه إلى عالم الخلق والملكوت الرباني؛ ليتأمل ويتفكر، إذ ذلك هو الطريق القرآني إلى الإيمان الصادق والتوحيد الحقيقي. وبهذا المعنى تحدث عن "أستاذية القرآن". قال: "إن الأستاذ الحقيقي إنما هو القرآن ليس إلا! وإن توحيد القلبة إنما يكون بأستاذية القرآن فقط".[2]

٥- حقائق القرآن أو الحقائق القرآنية:

وحقائق القرآن: هي قضاياه الإيمانية الكبرى، ومبادئه الكونية الكلية، المتعلقة بإثبات مقاصده الأربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدل.

قال بديع الزمان: "إن "الكلمات" جميلة رائعة، وإنها ليست مني وإنما هي شعاعات التمعت من حقائق القرآن الكريم. فلم أجمّل أنا حقائق القرآن، بل لم أتمكن من إظهار جمالها، وإنما الحقائق الجميلة للقرآن هي التي جملت عباراتي!"[3]

والذي يدل على أن المقصود بمصطلح "حقائق القرآن" في النص إنما هو قضايا الإيمان خاصة، ما أورده النورسي في موضع آخر؛ من عطف "الحقائق القرآنية" على "الحقائق الإيمانية" عطف بيان. مما دل على

(١) انظر مصطلح "التوحيد" بهذا المعجم.

(٢) المثنوي العربي النوري، ص ٣٠.

(٣) المكتوبات، ص ٤٧٧.

ترادفهما. قال: "إن إثبات أجزاء "رسائل النور" لجميع الحقائق الإيمانية والقرآنية المهمة، حتى لأعتى المعاندين إثباتا ساطعا؛ إنما هو إشارة غيبية قوية جدا، وعناية إلهية عظيمة. لأن هناك من الحقائق الإيمانية والقرآنية ما اعترف بعجزه عن فهمها؛ من يعد من أعظم صاحب دهاء!"[1]

ومعلوم أن "رسائل النور" إنما هي إثبات لأصول الإيمان، ومبادئه الكبرى، من خلال تفسيرها الجديد للقرآن، وكشفها لإعجازه.

ومن هنا لم تكن فروع السياسية، والخلافات الاجتماعية من "حقائق القرآن". قال بديع الزمان: "فالدرس القرآني الذي يلقى من موضع طاهر، زكي، مبرأٍ من موحيات أفكار التيارات السياسية، والانحيازات المغرضة جميعها (...) لا ينبغي أن تحجم عنه جهة. (...) وحمدا لله فإنني بسبب تجردي عن التيارات السياسية؛ لم أبخس قيمة حقائق القرآن، التي هي أثمن من الألماس، ولم أجعلها بتفاهة قطع زجاجية بتهمة الدعاية السياسية. بل تزيد قيمة تلك الجواهر القرآنية على مر الأيام".[2]

٦- حكمة القرآن:

وحكمة القرآن: هي كشف غطاء الألفة عن مشاهدة التجليات الكبرى لاسم الله "الحكيم" ﷻ في الأشياء، من تدبير وتربية ورعاية.

أو بعبارة أخرى: إنها الاعتبار بتدبر القرآن، لما يعرضه من مغزى الخلق للكون، دقائقه وجلائله. وإسناد كل ذلك إلى الأحد الصمد، للخروج من الكثرة إلى الوحدة. ولذا كانت "حكمة القرآن" -بهذا المعنى- جزء من مفهوم "إعجاز القرآن" بما سبق بيانه.

---

(١) الكلمات، ص ٤٨١.

(٢) المكتوبات، ص ٦١.

ومن هنا فارقت "حكمة القرآن" "حكمة الفلسفة" من حيث إن هذه الأخيرة تدخل في الكثرة ولا تخرج منها. أي إنها لا تسند الخلق للخالق، ولا تبرز "الأحدية" في الأشياء. قال بديع الزمان: "إذا أردت أن تعقد موازنة ومقارنة بين حكمة القرآن الحكيم والعلوم الفلسفية (...) فأمعن النظر وتأمل فيما يأتي:

إن القرآن الكريم، ببياناته القوية النافذة، إنما يمزق غطاء الألفة، وستار العادة الملقى على موجودات الكون قاطبة، والتي لا تذكر إلا أنها عادية مألوفة، مع أنها خوارق قدرةٍ بديعة، ومعجزاتها العظيمة. فيكشف القرآن بتمزيقه ذلك الغطاء حقائق عجيبة لذوي الشعور، ويلفت أنظارهم إلى ما فيها من دروس بليغة للاعتبار والعظة، فاتحا كنزا لا يفنى للعلوم أمام العقول.

أما "حكمة الفلسفة"، فهي تخفي جميع معجزات القدرة الإلهية، وتسترها تحت غطاء الألفة والعادة، فتجاوزها دون اكتراث (...) فشاهد في ضوء هذه الأمثلة ثروة القرآن الطائلة، وغناه الواسع في معرفة الله في ميدان العلم والحكمة، وإفلاس الفلسفة وفقرها المدقع في دروس العبرة والعلم بمعرفة الصانع الجليل".[1]

ولهذه العلة أيضا فارقت "حكمة القرآن" حكمة العلوم، أو ما سماه النورسي بـ"حكمة الأشياء". قال: "العلوم التي تبحث في حقيقة الموجودات، كالفيزياء، والكيمياء، والنبات، والحيوان، هذه العلوم التي هي "حكمة الأشياء" يمكن أن تكون حكمة حقيقية؛ بمشاهدة التجليات الكبرى لاسم الله "الحكيم" ﷻ في الأشياء. وهي تجليات تدبير وتربية

(١) الكلمات، ص ١٥٠-١٥١.

ورعاية. وبرؤية هذه التجليات في منافع الأشياء ومصالحها؛ تصبح تلك الحكمة حكمة حقا! أي باستنادها إلى ذلك الاسم: "الحكيم" وإلى ذلك الظهير تصبح حكمة فعلا. وإلا فإما أن تنقلب إلى خرافات، وتصبح عبثا لا طائل من ورائها، أو تفتح سبيلا إلى الضلالة، كما هو الحال في الفلسفة الطبيعية المادية".[1]

٧- الخدمة القرآنية أو خدمة القرآن:

الخدمة القرآنية: هي وظيفة الدعوة إلى القرآن باعتباره رسالة رب العالمين، والدلالة على مقاصده السامية.

فالدعوة إلى القرآن الكريم عند النورسي هي دعوة إلى المقاصد الأربعة "التوحيد والنبوة والعدل والحشر". ولكن بالمنهج القرآني، ومن خلال العرض القرآني، القائم على التدبر والتفكر. ووسيلة ذلك عنده إنما هي بيان "إعجاز القرآن" بمعناه الكوني لديه كما بيناه. فذلك المشروع كان هو أساس رسائل النور.

قال عن نفسه: تفرغتُ "لخدمة القرآن وحده بكوني دلالا لخزينة القرآن الحكيم السامية. فما تقتضيه وظيفة الدعوة إلى القرآن والدلالة عليه من أخلاق رفيعة سامية ليست لي، ولا أنا أملكها، وإنما هي سجايا رفيعة يقتضيها ذلك المقام الرفيع، وتلك الوظيفة الجليلة".[2] وقال أيضا في السياق نفسه: "إننا نستخدم في هذه الخدمة القرآنية، وندفع إلى العمل مكللين بالرضى الإلهي، مستظلين بظل العناية الربانية".[3]

---

(١) الكلمات، ص ٢٩١.

(٢) المكتوبات، ص ٤١١.

(٣) المكتوبات، ص ٤٨٥.

٨- خادم القرآن أو خدام القرآن:

وخدام القرآن: هم طلبة النور الذين اشتغلوا بنشر "رسائل النور"؛ وذلك من حيث كون هذه الرسائل بيانا، وكشفا؛ لإعجاز القرآن ومقاصده الأربعة.

قال بديع الزمان: "يحاول شياطين الإنس (...) أن يخدعوا خدام القرآن، ويصرفوهم عن ذلك العمل المقدس".[1] وقال أيضا: "إن الخدمة القرآنية التي اجتمعنا عليها ترفض "أنا" وتطلب: "نحن". فلا تقولوا: أنا! بل قولوا: نحن! ولا شك أنكم قد اقتنعتم أن أخاكم هذا الفقير لم يبرز إلى الميدان بـ"أنا" ولا يجعلكم خداما لأنانيته، بل أراكم نفسه خادما للقرآن لا يملك أنانية".[2]

٩ - طريق القرآن: "انظر: المعراج القرآني".

١٠- ألفاظ القرآن، أو الألفاظ القرآنية:

وألفاظ القرآن: هي صيغ التكلم الإلهي، وأعلام الضروريات الدينية، ومحافظ الأسرار الربانية، ومنابع الحقائق الكونية.

إن معنى ذلك أن أهم ما يميز ألفاظ القرآن الكريم أنها الصيغ اللغوية التي تكلم بها الله ﷻ وحيا إلى نبيه محمد ﷺ. وهذا هو سر إعجاز القرآن كما بينا أي صدوره "من رب العالمين" "خالق كل شيء" وهي الحقيقة التي بهرت النورسي وأثارت تفاعله مع القرآن، وتأثره به! ومن هنا لم يكن ممكنا قط ترجمة القرآن ولا تبديل كلماته بمرادفات! لأن الحقيقة الكبرى هي في السؤال الخطير التالي:

---

(١) المكتوبات، ص ٥٣٢.

(٢) المكتوبات، ص ٥٥٠.

أي كلمة في لغات الكون يمكنها معادلة لفظ، "تكلم" به الله، وصار له وصفا؟ ألا ﷻ ما لكلماته من مثيل!

ولذلك كانت "ألفاظ القرآن" مقدسة كلها سامية جميعها حرفا حرفا! هذه هي الحقيقة الأولى في هذا التعريف المقتبس من تعبيرات النورسي. قال رحمه الله: "إن تلك الألفاظ العربية هي مبعث فيض دائم، إذ تذكر بالكلام الإلهي، والتكلم الرباني! (...) إن تلك الألفاظ العربية لها أهميتها وقداستها وأنوارها وفيوضاتها؛ حيث إنها كلام إلهي!

ومجمل القول: إنه لا يمكن أن يقوم مقام الألفاظ القرآنية التي هي محافظ ومنابع للضروريات الدينية أي لفظ آخر، ولا يمكن لأي لفظ آخر أن يحل محلها قطعا. ولا أن يؤدي الغرض منها لقدسيتها، وسموها ودوامها(...)

والنتيجة أن شمولية اللغة العربية الفصحى وسعتها، والبيان المعجز في الألفاظ القرآنية؛ تحولان دون ترجمة تلك الألفاظ؛ ولذلك لا يمكن ترجمتها قطعا! بل إنه محال!"[1] إضافة إلى القداسة الربانية للألفاظ القرآنية؛ فإنها صارت بمثابة أسماء أعلام دالة على المفاهيم الدينية التعبدية. والاسم العَلم دال دلالة مطابقة على مفهومه، ولذلك لم تجز ترجمته في جميع اللغات، ولدى جميع الأجناس! وكلام الله أولى بذلك قطعا مما سواه. قال رحمه الله: "أن ألفاظ الكلمات القرآنية، والتسبيحات النبوية، ليس لباسا جامدا يقبل التبديل والتغيير، وإنما مثله مثل الجلد الحي للجسد. بل إنها أصبحت فعلا جلدا حيا بمرور الزمن، ولا جدال في أن تبديل الجلد وتغييره يضر بالجسم. ثم إن تلك الكلمات المباركة في

(١) المكتوبات، ص ٤٣٨-٤٣٩.

الصلاة والذكر والأذان، أصبحت اسما وعَلما لمعانيها العرفية والشرعية، ولا يمكن تبديل الاسم العَلم".[1]

ثم إن الألفاظ القرآنية أيضا "محافظ"، أو "منابع" -كما سبق تعبيره- للأسرار الربانية، والحقائق الكونية. والله وحده العليم الخبير هو الذي يعلم -حق العلم- مقاصد كلماته على التمام والكمال، ومحفوظاتها من الأسرار والحقائق، مما يتعلق بالربوبية، والخلق، والغيب والشهادة. ولذلك كان من المجازفة الخاسرة حتما مجرد التفكير في إمكان تعويضها بغيرها من الألفاظ البشرية. فمن ذا قدير على الإحاطة التامة بعلم الله؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. قال بديع الزمان: "ما دام القرآن الكريم كلام رب العالمين وخالق كل شيء؛ فكل كلمة من كلماته إذن بمثابة نواة. أي يمكن أن تكون تلك الكلمة نواة تنبت منها شجرة معنوية من الأسرار والمعاني، أو بمثابة قلب تتجسد حوله المعاني والأسرار".[2]

وليس هذا خاصا بالكلمات القرآنية من الأسماء والأفعال فحسب؛ بل هو عام في كل لفظ قرآني، أي بما في ذلك الحروف. وقد سبق قوله رحمه الله: "حتى أستطيع القول، وأثبت أيضا: أن كل حرف من حروف القرآن الكريم بمثابة خزينة من خزائن الحقائق، بل قد يحوي حرف واحد فقط من الحقائق ما يملأ صحيفة كاملة!"[3] كما سبق قوله: "ليست آيات القرآن ولا كلماتها معجزة وحدها، وإنما كذلك حروف القرآن -كما في "ن" نعبد- هي مفاتيح نورانية لحقائق عظمى".[4] وقد سبق تفصيل ذلك في بيان ما تتضمنه دلالة النون من جماعات بشرية وكونية!

---

(١) المكتوبات، ص ٤٣٧.

(٢) المكتوبات، ص ٢٤٧.

(٣) المكتوبات، ص ٥٠٦.

(٤) المكتوبات، ص ٥٠٩.

١١- المعراج القرآني:

والمعراج القرآني أو طريق القرآن: هو تدبر القرآن الكريم، والتفكر فيما يعرضه من الآيات الكونية؛ للوصول إلى عرش الكمالات وهو معرفة الله ﷻ.

وسالك هذا الطريق هو من سبق وصفه لدى النورسي بـ"تلميذ القرآن". "فتدبر" الكتاب المقروء، يفضي بالضرورة إلى "التفكر" في الكتاب المنظور. ومن هنا كان له طريقان تفكريان: الأول: فهم أن الله لا يخلق شيئا إلا لحكمة، وهو ما سماه بدليل العناية. والثاني: أن الله قد أعطى لكل شيء وجوده الخاص، وهو ما سماه بدليل الاختراع. والتفكر في هذا وذاك مفض إلى "الأحدية" المطلقة وذلك كمال معرفة الله ﷻ.

قال بديع الزمان: "إن أصول العروج إلى عرش الكمالات -وهو معرفة الله ﷻ- أربعة:

- أولها: منهاج علماء الصوفية، المؤسس على تزكية النفس، والسلوك الإشراقي.

- ثانيها: طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان(...).

- ثالثها: مسلك الفلاسفة.

هذه الثلاثة ليست مصونة من الشبهات، والأوهام!

- رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه، وأقربه إلى الله، وأشمله لبني الإنسان. ونحن قد اخترنا هذا الطريق! وهو نوعان:

الأول: دليل العناية: (...) وزبدة هذا الدليل: رعاية المصالح والحكم في نظام العالم الأكمل؛ مما يثبت قصد الصانع وحكمته وينفي وهم المصادفة (...).

الدليل القرآني الثاني: دليل الاختراع. وخلاصته أن الله تعالى قد أعطى كل فرد، وكل نوع، وجودا خاصا، هو منشأ آثاره المخصوصة، ومنبع كمالاته اللائقة فلا نوع يتسلسل إلى الأزل".[1]

والعروج إلى الله عبر طريق القرآن الكريم يتم عند النورسي بأربع خطوات هي: العجز، والفقر، والشفقة، والتفكر. فهذه المعاني يستشعرها العبد في ممارسة عبادته لله الواحد القهار، هذه العبادة التي لا تختلف أشكالها، ولا أعدادها، ولا شروطها؛ عما هو معروف ومشتهر لدى جمهور المسلمين، أو ما يسمى لدى الفقهاء بـ"المعلوم من الدين بالضرورة"؛ ولذلك اعتبر النورسي منهجه هذا أقرب إلى الحقيقة الشرعية؛ منه إلى الطريقة الصوفية.

قال رحمه الله في سياق مقارنة طريق القرآن بطريق العشق الصوفي: "للوصول إلى الله ﷻ طرائق كثيرة وعديدة. ومورد جميع الطرق الحقة، ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم (...) وقد استفدت من فيض القرآن الكريم -بالرغم من فهمي القاصر- طريقا قصيرا وسبيلا سويا هو: طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر.

نعم، إن العجز: كالعشق موصل إلى الله، بل أقرب وأسلم، إذ هو يوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية. والفقر: مثله يوصل إلى اسم الله "الرحمن". وكذلك الشفقة: كالعشق موصل إلى الله، إلا أنه أنفذ منه في السير، وأوسع منه مدى، إذ هو يوصل إلى اسم الله "الرحيم". والتفكر: أيضا كالعشق، إلا أنه أغنى منه وأوسع نورا، وأرحب سبيلا، إذ هو يوصل السالك إلى اسم الله "الحكيم".

---

(١) صيقل الإسلام، ص ١٢٢-١٢٤.

وهذا الطريق يختلف عما سلكه أهل السلوك في طرق الخفاء (...) وهو حقيقة شرعية أكثر مما هو طريقة صوفية(...).

أما أوراد هذا الطريق القصير وأذكاره فتنحصر في اتباع السنة النبوية.. والعمل بالفرائض، ولا سيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان والعمل بالأذكار عقبها، وترك الكبائر".[1]

١٢- مقاصد القرآن:

ومقاصد القرآن: هي الحقائق التي نزل القرآن من أجل إثباتها، وعناصره المبدئية الكبرى. وهي: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة. وهو ما أورده النورسي في أكثر من موطن من رسائله، التي ألفها أساسا من أجل العمل على إثبات تلك الحقائق؛ وذلك ببيان إعجاز القرآن. قال: "إن المقاصد الأساسية من القرآن، وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة".[2]

١٣- وظيفة القرآن:

أما وظيفة القرآن: فهي على حد تعبير النورسي، وذلك في قوله: "الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم هي تعليم شؤون دائرة الربوبية، وكمالاتها، ووظائف دائرة العبودية وأحوالها".[3]

ومعنى ذلك أن معرفة الله ﷻ إنما هي معرفته من حيث هو "رب العالمين" ومن حيث هو "خالق كل شيء" أي معرفته تعالى من خلال البعد الكوني؛ لتوحيده سبحانه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه. ومن هنا كانت المعرفة بالله قائمة أساسا على "مشاهدة" أنوار الأسماء

(١) المكتوبات، ص ٥٩٤.

(٢) إشارات الإعجاز، ص ٢٣.

(٣) الكلمات، ص ٢٩٣.

الحسنى المنعكسة على سائر الكائنات، وفي كل الحركات. ومن هنا كان الكون نفسه كالقرآن دالا على الله بطريق التفكر. كما أن القرآن دال على الله بطريق التدبر، وكما أن النبي ﷺ دال على الله بطريق الاقتداء والتأسي.

قال بديع الزمان: "إن ما يعرّف لنا ربنا لا يعد ولا يحصى، ولكن البراهين الكبيرة والحجج الكلية ثلاثة:

إحداها: هذه الكائنات، وقد سمعت بعض آيات هذا الكتاب الكبير.

وثانيتها: الآية الكبرى من هذا الكتاب، وهي خاتم ديوان النبوة، ومفتاح الكنوز الخفية عليه الصلاة والسلام.

وثالثتها: مفسر كتاب العالم، وحجة الله على الأنام: أي القرآن الحكيم".[1] وقال أيضا: "إن ما يعرف لنا ربنا هو ثلاثة معرفين أدلاء عظام:

أوله: كتاب الكون (...)

ثانيه: هو الآية الكبرى لهذا الكتاب العظيم، وهو خاتم ديوان النبوة ﷺ.

ثالثه: القرآن الحكيم".[2]

فإذا كان ذلك كذلك؛ أي إذا تم التعريف بالله "ربا وخالقا"، وتمت مشاهدة أسمائه الحسنى، متجلية أنوارها في كل شيء؛ كان ذلك هو الشطر الأول من وظيفة القرآن التعليمية والتربوية، وهو ما سماه في التعريف بـ"تعليم شؤون دائرة الربوبية، وكمالاتها". وأما الشطر الثاني: فهو ما يتوجب على العبد أن يؤديه من حقوق الربوبية والخالقية! وما ينبغي له

(١) المثنوي العربي النوري، ص ٥٥.

(٢) المكتوبات، ص ٢٥٧.

أن يسلكه من "معراج قرآني" و"خطوات أربع" مما سبق بيانه عنده، وما يجب عليه أن يتحلى به في ذلك من آداب الطريق. وهو ما عبر عنه في التعريف بتعليم "وظائف دائرة العبودية وأحوالها".

خاتمة

القرآن هو سر نجاح الأستاذ بديع الزمان النورسي في دعوته التجديدية، رغم الظروف العصيبة التي اكتنفتها ولا تزال! إن هذا الرجل الذي خرج تربويا من رحم التصوف؛ ليعلن للعالم بعد نظر بصير بالزمان والإنسان، فيقول للدعاة والمربين بكل قوة: "إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة الصوفية! بل زمان إنقاذ الإيمان!"[1] ولم يكن مشروع "إنقاذ الإيمان" عنده غير سلوك سبيل "المعراج القرآني" وتلقين ذلك لعموم المسلمين. ونصه -الوارد قبل- فصل البيان في المنهج. قال رحمه الله: "المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه، وأقربه إلى الله، وأشمله لبني الإنسان. ونحن قد اخترنا هذا الطريق!"[2]

ومعنى ذلك إنما هو تجديد التربية للأجيال؛ بناء على برنامج القرآن في تكوين الإنسان، وإعداده لتسلم وظيفة العبادة لله الواحد القهار في كل شؤون الحياة، تلك الوظيفة التي من أجلها خُلق. تماما كما صنع محمد بن عبد الله ﷺ، من بعدما نزلت عليه القطرات الأولى من القرآن العظيم. فانطلق بين الناس بالآيات بشيرا ونذيرا.

من أجل ذلك كان القرآن عند بديع الزمان النورسي هو جوهر دعوة

---

(١) الملاحق / ملحق أميرداغ-١، ص ٢٦٣.

(٢) صيقل الإسلام، ص ١٢٣.

التجديد، وعمودها الأساس. لم تقم إلا به ومن أجله! هو المصدر، وهو المنهج، وهو البرنامج! منه وإليه يرجع كل شيء عند النورسي: تفسير الكون، وتفسير الحياة، وإعادة بنائها! فكان لذلك مصطلح القرآن -كما تعامل معه رحمه الله- هو المفتاح الأساس؛ لفهم كليات رسائل النور.